

حركة المقاومة الإسلامية

حماس

دراسات في

الفكر والتجربة

تحرير

د. محسن محمد صالح

المشاركون

أ. د. أحمد سعيد نوفل	أ. أسامة حمدان	أ. إسماعيل هنية
د. إشتياق حسين	أ. بلال الشوبكي	د. حافظ الكرمي
أ. خالد مشعل	د. رائد نعيرات	أ. سامي خاطر
أ. سميح حمودة	أ. د. طلال عتريسي	د. عدنان أبو عامر
د. محسن محمد صالح	أ. د. مصطفى أبو صوي	د. موسى أبو مرزوق
أ. يوسف أبو السعود	أ. د. يوسف رزقة	



الفصل الثامن

علاقات حركة حماس مع العالم العربي

د. عدنان أبو عامر

علاقات حركة حماس مع العالم العربي

مقدمة:

بعد مرور ما يقرب من 25 عاماً على انطلاقة حركة حماس، واجتيازها لاختبارات عديدة على مستوى العلاقات السياسية، الداخلية والخارجية، أصبح الوقوف على تجربتها في إدارة هذه العلاقات ودراساتها أمراً في غاية الأهمية، لا سيّما تلك التي بنتها مع محيطها العربي، سواء مع النظام الرسمي، أم المستوى الشعبي على حدّ سواء.

تتناول الدراسة أهم الخطوط العامة العريضة لسياسات حماس في علاقاتها السياسية العربية، بالرغم من أنها قابلة للتغير بتغير الظروف، فقد تشهد تقارباً أو تباعداً بتقارب الأهداف والمصالح، أو اختلافها وتباعدها، مما يدفع للإجابة على جملة من التساؤلات، منها:

- كيف تقيم حماس علاقاتها العربية؟
- ما هي سياساتها وأهدافها من وراء هذه العلاقات؟
- ما هو الثابت والمتغير فيها، وهل هناك تحول في ممارستها السياسية في علاقاتها تلك؟
- هل هناك اشتراطات يتخللها تنازلات مطلوبة منها لأجل العلاقة مع طرف ما، وهل هناك أطراف عربية تستبعتها الحركة، وترفض أيّ علاقة معها من أيّ نوع؟

أولاً: محددات علاقات حماس العربية:

انطلقت حماس في بناء علاقاتها العربية مما جاء في ميثاقها، وحديثه عن ارتباط تحرير فلسطين بدوائر ثلاث، منها الدائرة العربية، ودورها في الصراع، والواجبات الملقاة عليها. ورأت حماس أن "الدول العربية المحيطة بـ"إسرائيل" مطالبة بفتح حدودها أمام أبناء الشعوب العربية لياخذوا دورهم، ويضموا جهودهم إلى جهود إخوانهم الفلسطينيين، أما الدول الأخرى فمطالبة بتسهيل تحركاتهم، منها وإليها"¹.

¹ ميثاق حماس، المادة 15.

وسعت حماس إلى وقوف الأطراف العربية الرسمية بجانبها: تؤيدها، وتتبنى مواقفها، وتدعم نشاطاتها وتحركاتها، وتكسب التأييد لها لتجعل من الشعوب سنداً وظهيراً لها وتشكل بعداً استراتيجياً على كل المستويات البشرية والمادية والإعلامية، الزمانية والمكانية، بعقد المؤتمرات، ونشر الكتيبات الهادفة، وتوعية الجماهير حول القضية، وما يواجهها ويدبر لها؛ وتعبئة الشعوب فكرياً وتربوياً وثقافياً، لتأخذ دورها في معركة التحرير الفاصلة².

ولعل ما دفع بحماس لهذه المطالب تجاه الدول والشعوب العربية، قناعتها واعتقادها بأن "المشروع الصهيوني يمثل خطراً على الأمة العربية جمعاء. وبالنظر لما تمثله فلسطين من بُعد عقائدي وقومي، فإن دور الدائرة العربية في التحرير أساسي ومركزي؛ حيث تمثل القوة الرئيسية التي يعول عليها للنهوض بعبء التحرير، وتُعد العمق الاستراتيجي والرديف المساند للشعب الفلسطيني لتحرير فلسطين، وإزالة الكيان الصهيوني عن أرضها"³.

وقد استفادت حماس من تجارب قوى فلسطينية في علاقاتها العربية، وكيفية صياغتها، بعدم رفعها شعارات راديكالية تجاه الأنظمة العربية، ملأت فضاء العنفوان الثوري الفلسطيني أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين؛ من قبيل أن "قطار التحرير" يمر بهذه العاصمة العربية، أو تلك! ورأت حماس أنه مقابل الجهود الكبيرة التي تبذلها "إسرائيل" لعزل الدائرة العربية عن الصراع مع الفلسطينيين للاستفراد بهم، فلا بد من الحرص على إبقائها، بالرغم من كل الصعوبات⁴.

ولفهم طبيعة العلاقات التي بنتها حماس مع الدائرة العربية، وإدراك مدى إمكانية استمرارها واستقرارها، لا بد من النظر في الأسس والمبادئ التي قامت عليها، والأرضية السياسية التي أعدتها تجاهها على النحو التالي:

² ميثاق حماس، المادة 28.

³ ميثاق حماس، المادة 29.

⁴ أحمد فهمي، لماذا يكرهون حماس؟ (الرياض: مكتب مجلة البيان، 2009)، ص 19.

1. الاتصال بمختلف الأطراف العربية:

حرصت حماس على إقامة علاقات إيجابية مع الأنظمة العربية، بغض النظر عن توجهها السياسي وانتمائها الفكري، وإعلان جاهزيتها للتعامل مع القوى الإسلامية، والمسيحية، والاشتراكية، واليسارية، والليبرالية، لتشجيعها على القيام بواجبها ومسؤولياتها تجاه الشعب الفلسطيني، ونصرة قضيته العادلة، لحشد الرأي العام العربي.

وحرصت حماس على التواصل مع الجامعة العربية وأمينها العام في جميع المناسبات والقمم، مشاركة ومراسلة. وحاولت دائماً أن تبحث عن الجوانب المشتركة بينها وبين الأنظمة، لتوسيع دائرة التنسيق والعمل في جوانب الاتفاق. كما سعت حماس للتعاون مع المنظمات والهيئات العربية والتنسيق معها، انطلاقاً من قاعدة "تغليب القواسم المشتركة ومساحات الاتفاق على مواقع الاختلاف"، بحيث تقوم علاقاتها على الشراكة الكاملة بين جميع المكونات العربية. وهي إذ تسعى لتعزيز العمل العربي المشترك، ترى أن صيغته يجب أن تقوم على أساس الالتزام بالعمل على تحرير فلسطين، وعدم الاعتراف بالعدو، أو إعطائه حق الوجود على أي جزء منها⁵.

وما لبث أن اتضح للحركة أن التقدم والاتساع اللذين حققتهما، ميدانياً وشعبياً، سياسياً وعسكرياً، زادا من اهتمام الأطراف العربية بها، وأنها كلما قويت، واحتلت مواقع أكثر تأثيراً في ميزان القوى السياسية ومجريات القضية الفلسطينية، أصبحت ضرورة الاتصال بها، وإقامة العلاقات الإقليمية والقوية والمتبادلة معها أكثر إلحاحاً⁶.

2. رفض التدخل في الشؤون الداخلية:

لأن حماس ليست جزءاً من النظام السياسي "الداخلي" العربي، ولا التجاذبات الداخلية لأي من دوله، لذلك تنأى بنفسها عنها، مما حتم عليها السير في معترك شائك بدقة وحذر، بما يحقق الأهداف الفلسطينية. إذ إن تجربة منظمة التحرير ما زالت شاخصة في عيون قادة الحركة؛ فلم يكن الارتقاء في أحضان الأحلاف والمحاوَر مجدياً بعد أن سلبها إرادتها وهويتها، ولم يعد التدخل في الشؤون الداخلية، واستعداد الأنظمة

⁵ سمير سعيد، حركة المقاومة الإسلامية حماس (المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 2002)، ص 19.

⁶ خالد الحروب، الوطنية والإسلاموية في فلسطين: وحدة أو الانقسام؟، الحياة، 2009/10/3.

العربية على الفلسطينيين إلا بالخسائر والتراجع لقضيتهم⁷. وقد وضع ذلك أمام الحركة مهمة جدّ كبيرة، تمثلت في قدرتها على توظيف التناقضات المعلنة والخفية بين الدول العربية، واختلاف مصالحها من جهة؛ ومن جهة أخرى الحذر من مغبة وقوعها في شرك الاستخدام والتوظيف من قبل الأنظمة.

واستطاعت حماس طوال السنوات الماضية أن تبني علاقات متوازنة مع الحكومات والمعارضات العربية على حدّ سواء. ويستشهد كثيرون بنموذج العلاقات المتينة مع الدولة السورية، بالرغم مما بينها وبين الإخوان المسلمين من خلاف وصل حدّ المواجهة الدموية سنة 1982؛ وكذلك حرصها ألا تثير حساسية الحكومة المصرية، أيام نظام حسني مبارك، خصوصاً الفترة 2000-2011، من علاقتها مع الإخوان هناك⁸. وفي الوقت ذاته، ترفض الحركة تدخل الدول العربية في سياساتها ومواقفها وشؤونها الخاصة، وتؤكد استقلاليتها في اتخاذ قراراتها "الفلسطيني الوطني"، الذي تصنعه مؤسساتها القيادية⁹. ومع ذلك، فقد نظر البعض إلى مواقف حماس المرنة تجاه النظام العربي الرسمي على أنها "نقطة إدانة" ضدها، لاعترافها السهل به، وعدم الانخراط بتغييره؛ لا سيّما أنها حركة إسلامية شعاراتها فوق قطرية، وتدرك أن عبء التحرير لا يمكن أن يقوم به الشعب الفلسطيني بمفرده، ولا الشعب العربي المجزأ¹⁰.

3. عدم فتح معارك جانبية مع أيّ طرف عربي:

لم تتبنّ حماس سياسة التهجم على أحد، لكنها عبرت بشكل موضوعي وملتزم عن ملاحظاتها، ونقدتها لمواقف الأطراف المختلفة من الصراع مع الاحتلال، سعياً لإيجاد توازن في علاقاتها السياسية العربية، وترفض أن تكون علاقاتها مع أيّ طرف على حساب آخر، طالما أنه يقف بجانب الشعب الفلسطيني، وترحب بدوره¹¹.

⁷ زكي شهاب، حماس من الداخل (بيروت: الدار العربية للعلوم، 2008)، ص 187.

⁸ عدنان أبو عامر، الحركة الإسلامية في قطاع غزة بين الدعوة والسياسة (القاهرة: مركز الإعلام العربي، 2006)، ص 75.

⁹ مقابلة مع خالد مشعل، قناة الجزيرة الفضائية، الدوحة، 2006/3/5.

¹⁰ إياد البرغوثي، الإسلام السياسي في فلسطين ما وراء السياسة (القدس: مركز القدس للإعلام والاتصال، 2000)، ص 65.

¹¹ جواد الحمد وإياد البرغوثي، دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية: حماس، ص 225.



في السياق ذاته، عالجت حماس خلافاتها مع الدول العربية بكثير من الصبر والروية، وابتعدت في مواقفها وبياناتها عن سياسة الاتهام والتجريح، واعتمدت بالمقابل على لغة النقد الموضوعي، والنصح والناشدة، دون قطع جسور التواصل في أحلك الظروف، فلم توجه الاتهامات لمصر، ولم تفتح جبهة مع الأردن، ولا استهدف إعلامها دول الخليج¹².

ويمكن القول إن الأسس التي اعتمدها الحركة في علاقاتها العربية مبنية على رؤية استراتيجية واضحة، نظراً لقناعتها الراسخة بأن الدول العربية التي تزداد ضعفاً وارتباكاً كل يوم، تصبح أكثر قابلية للخضوع والتراجع أمام المشروع الأمريكي؛ ما يعني مزيداً من التضييق وسد المنافذ عليها، وهذا ما حصل بعد فوزها في الانتخابات التشريعية، وازداد وضوحاً بعد سيطرتها على غزة أواسط سنة 2007.

وبالرغم من ذلك، فلم يخل الخطاب التعبوي لحماس من الدعوة للوحدة العربية، والوحدة الإسلامية، ولكنه لم ينشغل بالجانب التنظيري والفكري التفصيلي، مكتفياً بالشعارات العامة العريضة، نظراً لانغماس حماس في مشروع المقاومة، وبسبب وجود أدبيات أخرى كثيرة في هذا الإطار. مع العلم أن الحركة عبرت في أدبياتها وبياناتها وتصريحاتها، عن حرصها على الوحدة العربية، مؤكدة أن اختلاف الرأي، ليس مبرراً للتناحر والفرقة. وترى حماس أن ساحة العمل الوطني والعربي تتسع لكل الرؤى والاجتهادات في مقاومة المشروع الصهيوني، معتقدة أن وحدة العالم العربي والإسلامي غاية ينبغي على جميع القوى والفعاليات الفلسطينية والعربية العمل للوصول إليها.

وعندما بدا أن دولاً عربية رئيسية تسعى للتحرش بها، أو تفتعل أزمات معها، أو توتير علاقتها بها، فقد عالجت حماس هذه المواقف بروية، ولم تسع للتصعيد الإعلامي، واكتفت بنفي التهمة عن نفسها، وابتعدت إعلامياً عن كل ما يفاقمها. وقدمت حماس نموذجاً للصبر والتروي، بالرغم من المدى البعيد الذي ذهبت إليه بعض الأنظمة العربية بمقاطعتها، والانصهار التام في المطالب الأمريكية المتشددة للتعامل معها مالياً وسياسياً¹³. وعرضت حماس نموذجاً لكظم الغيظ مع من تجاهلوا دورها ومكانتها، ولم تعتمد للتشهير بهم على الملاء؛ مما عدّ مؤشراً مهماً على مرونتها، وقابليتها لتغليب

¹² أحمد فهمي، مرجع سابق، ص 24.

¹³ خالد الحروب، حماس: الفكر والممارسة السياسية، ص 159.

المصالح العليا على مصالحها ورؤاها الخاصة في سلوكها الخارجي؛ فيما رحبت علناً بالمواقف التي آنست فيها الدفء والحميمية تجاهها، ولذلك احتفظت بعلاقات طيبة ووثيقة مع بعض البلدان العربية، مما عمق أواصر التنسيق معها¹⁴.

4. حصر فلسطين ساحة للمقاومة المسلحة:

حرصت حماس على عدم نقل المعركة خارج فلسطين، إلى ساحات الدول العربية، بتأكيداتها على استراتيجية اعتماد فلسطين ميداناً أساسياً للمواجهة المسلحة مع الاحتلال، ورفض توسيع الرقعة الجغرافية لعملياتها، على الرغم من الاعتداءات التي تعرضت لها في الخارج. فقد حاولت "إسرائيل" اغتيال خالد مشعل رئيس مكتبها السياسي على الأراضي الأردنية سنة 1997، واغتالت عز الدين الشيخ خليل أحد كوادرها في سورية بتفجير سيارته سنة 2004، ومع ذلك، كان للحركة موقف حاسم بعدم نقل مسرح عملياتها خارج فلسطين المحتلة¹⁵. وكان لهذا الوضوح في الرؤية، والحسم في الموقف، دور كبير في إزالة بعض حواجز الخوف من بعض الأنظمة العربية، التي ظلت تنظر للمقاومة المسلحة كعامل قلق وعدم استقرار لها.

5. الدعوة لوحدة الصف العربي، ورفض المحاور:

باركت حماس جميع الجهود الوحدوية العربية، وأشكال التعاون والتنسيق العربي المشترك، بما يخدم المصالح العامة للأمة العربية والقضية الفلسطينية؛ لأن الفرقة يدفع ثمنها الشعب الفلسطيني. ونظرت بخطورة لبروز محاور وأحلاف متناقضة، ورفضت أن تكون طرفاً في أي منها، لانفتاحها على الجميع؛ لكون حماس غير محسوبة على طرف بعينه، بل تتعامل مع الجميع، ولا تصنف نفسها مع طرف ضد آخر، وبالرغم من ذلك، فللحركة تقارب مع دول، وتباعد مع أخرى¹⁶.

وبخلاف تجربة منظمة التحرير، استطاعت حركة حماس البقاء خارج المحاور العربية. وبالرغم من التباين الحاد بين دول المنطقة فيما يتعلق بالعلاقة مع "إسرائيل"، فإنها استفادت نسبياً من هذه التناقضات، دون الغرق فيها. كما أن

¹⁴ انظر: جواد الحمد وإياد البرغوثي، دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية: حماس، ص 229.

¹⁵ غسان شربل، مرجع سابق، ص 65.

¹⁶ جواد الحمد وإياد البرغوثي، دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية: حماس، ص 235.



واقعية حماس، وعدم شرورها بعيداً عن السربين الفلسطينيين والعربي، شكلت مبعث ارتياح عربي نسبي كبير لسياساتها، بمحافظتها على شخصيتها وهويتها وأجندتها الوطنية؛ وإظهارها في أكثر من مناسبة وقوفها بجانب ”محور المقاومة“ المواجه للمشروع الإسرائيلي - الأمريكي، ولكن ليس على حساب علاقاتها مع باقي دول وشعوب المنطقة. وربما كان تواصلها المستمر مع بلدان الخليج، وتوجهها للسعودية سنة 2007 لتوقيع اتفاق مكة مع حركة فتح، وترحيبها بدور القاهرة الوسيط في المصالحة الفلسطينية وفي صفقة تبادل الأسرى مع ”إسرائيل“ سنة 2011، دليلاً على انفتاحها على المحور المعروف بـ”محور الاعتدال“.

أكثر من ذلك، فقد عملت حماس على بناء علاقات جيدة مع دول المحورين، بالرغم من خلافاتهما، ولم تملك خياراً سوى المحافظة على التوازن في العلاقة بينهما، فسورية ظلت حتى سنة 2011 هي الحاضن الجغرافي لقياداتها في الخارج، بينما مصر هي المعبر الوحيد لقيادات الداخل إلى قطاع غزة، ومصر وسورية معاً تشكلان عاملاً حاسماً في مصير الصراع العربي الإسرائيلي، ولهذا حرصت على عدم إخراجها من معادلة الصراع مع الاحتلال¹⁷.

وآمنت الحركة بأن اختلاف المواقف مع الدول العربية حول المستجدات السياسية لا يحول دون اتصالها وتعاونها معها، لا سيما من لديها الاستعداد الدائم لدعم صمود ومقاومة الشعب الفلسطيني للاحتلال، وحرصت على أهمية الحوار مع جميع الحكومات والأحزاب والقوى، بغض النظر عن نظامها السياسي، ولا مانع لديها من التعاون مع أي جهة لصالح خدمة قضية شعب فلسطين العادلة، وحصوله على حقوقه المشروعة، أو تعريف الرأي العام بممارسات الاحتلال وإجراءاته اللا إنسانية ضد الشعب الفلسطيني¹⁸.

وفي إطار المحاور، مضت حماس بعلاقاتها العربية على ”حبل مشدود“، فلا الدول انفتحت بالكامل عليها، ولا غلقت في وجهها الأبواب، ومما جاء من مواقف تشير

¹⁷ خالد فياض، حركة حماس ومستقبل التطورات السياسية في فلسطين، دراسة غير منشورة، وزارة الإعلام السعودية، 2007، ص 15.

¹⁸ انظر: محسن محمد صالح، ”حماس 1987-2005 رصيد التجربة“، في تركي الدخيل وآخرون، حركة حماس، الكتاب العشرون (دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، 2008)، ص 67.

بوضوح لا يقبل الشك والتأويل على ذلك، ما صدر عنها بُعيد فوز حماس في الانتخابات التشريعية على النحو التالي:

- أ. الموقف السوري رأى في الفوز انتصاراً لخطه ومعسكره، فدمشق أصبحت حاضنة للشرعية الفلسطينية بعد أن اتهمت طويلاً بدعم المعارضة.
- ب. وجاء الترحيب القطري حقيقياً، خاصة أن علاقات دافئة ربطت بين حماس والدوحة طوال سنوات.
- ج. أما السودان، فكان ثالث دولة عربية تستقبل الحركة، حيث احتفظت لسنوات طويلة بعلاقات قوية معها، بالنظر إلى الجذور الإسلامية للقيادة السودانية¹⁹.
- د. في المقابل، فإن مواقف مصر والأردن من المتغير الفلسطيني الكبير بدت "غامضة"، وإن لم تتمكن من إخفاء حالة القلق التي انتابتها، وحاولت المزج بين احترامها لإرادة الشعب الفلسطيني، والميل الواضح لدعم الرئيس عباس وقيادة المنظمة، على أساس أنها تمثل الشرعية الفلسطينية. ولم تتخلَّ مصر والأردن عن انشغالاتهما الفلسطينية الكثيفة والواسعة، لكنهما لم تستطعا فرض رؤيتهما على قيادة حماس، التي لم تنجح لأسباب عديدة في إقناع مصر والأردن بأن حكومتها الجديدة إضافة نوعية للموقف العربي، وأن الوقت قد حان لإجراء مراجعة حقيقية للسياسة العربية، فليس أمام الطرفين إلا التعايش.
- هـ. أما السعودية، فإن علاقتها بحماس اتسمت بالتداخل وبعض التعقيد. إذ إن السعودية داعم رئيسي للسلطة الفلسطينية بقيادة الرئيس عباس، وهي ترتبط بعلاقات وثيقة مع مصر (محور الاعتدال)، وكان هناك تنسيق دائم بينهما (حتى نهاية حكم مبارك) في مختلف الشؤون العربية؛ كما أن للسعودية علاقاتها القوية مع المنظومة الغربية، وخصوصاً الولايات المتحدة. ومن جهة أخرى فإن السعودية لا تعترف بـ"إسرائيل"، ولا تربطها بها أيّ علاقات، ولا تستطيع الضغط على حماس لتلبية الشروط الأمريكية - الإسرائيلية؛ كما ستجد نفسها في موقف صعب أمام الرأي العام السعودي، إن بادرت لقطع المساعدات الرسمية أو الشعبية عنها استجابة لمطالب أمريكية؛ وهو ما يعني أن تعامل السعودية مع حماس سيكون أكثر سلاسة من عواصم أخرى²⁰.

¹⁹ المرجع نفسه، ص 76.

²⁰ زكي شهاب، مرجع سابق، ص 187.



ثانياً: المنطلقات العربية في العلاقة مع حماس:

شهدت العلاقة بين الدول العربية وحماس، محاولات شدّ وجذب، بالرغم من رغبة الأخيرة بأن تكون ودية دافئة، بعيدة عن الندية، وأنها تكميل للأولى، وليست بديلاً عنها. وانطلقت حماس في ذلك من واقعية سياسية مفادها أنها لا تعمل في ظلّ واقع عربي طموح، بل تسعى ليكون أفضل مما هو عليه، كما ارتبط الموقف العربي الرسمي منها بعوامل متداخلة، أهمها:

1. طبيعة الأنظمة العربية وخلفياتها الأيديولوجية والسياسية.
 2. قرب أو بُعد هذه الأنظمة من فلسطين، ومدى التأثير الجيو-سياسي لقضية فلسطين عليها.
 3. الرأي العام العربي الشعبي، الذي لا بدّ من إعادته بقوة إلى قلب القضية الفلسطينية.
 4. صلابة موقف حماس، ووجود دعم شعبي فلسطيني لا يستهان به لسياساتها في الداخل والخارج.
 5. الضغوط الأمريكية والأوروبية، التي تستهدف عمل الحركة في الساحة العربية.
- وكلّ ذلك، تطلّب من حماس استعادة الارتباط بين فلسطين والمجال العربي، لتصبح مسؤولة عربية دائمة، وليست فلسطينية فقط، وبشكل يرفع سقف الموقف الرسمي، بحيث ترى الدول المعنية أن موقف حماس يصب في صالح السياسة العربية، وليس في التناقض معها.

في المقابل، تنوعت المواقف العربية الرسمية من الحركة وتدرجت، على النحو التالي:

1. إهمال وجودها الكلي، خاصة في مرحلة تأسيسها الأولى المرافقة لانطلاق انتفاضة الحجارة أواخر سنة 1987.
2. اتهامها بالعمل خارج أطر الشرعية الفلسطينية، وما يحمله ذلك من تعويق للمشروع الوطني الفلسطيني، ولمسار التسوية السلمية الذي اختطته الأنظمة العربية وخصوصاً مصر.
3. الاعتراف الصريح والمباشر بقوتها، ودعوتها رسمياً للانضمام لمنظمة التحرير، باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للفلسطينيين.
4. محاولة احتوائها وإضعافها وتهميشها، خصوصاً من خلال دعم الفصائل المنافسة لها وخصوصاً فتح.

اختلفت المواقف العربية تجاه حماس، فقام البعض بإشغال الحركة بلقاءات جانبية تحت إغراء إعادة العلاقات، وشطب التأزم، وشجّع آخرون إيجاد أقطاب داخلها تختلف في توجهاتها ورؤيتها للحل، وسعى طرف ثالث لربطها بطوق من الدعم، ومحاولة إقناعها بالتعقل والروية، بينما كان هناك طرف رابع يقسو ويتعنت، لإعطاء نموذج عن مآلات التمرد أو الاعتراض²¹.

في السياق ذاته، مرت علاقات حماس العربية بالمراحل التاريخية التالية:

المرحلة الأولى: بين تاريخ تأسيس الحركة في كانون الأول/ ديسمبر 1987، حتى أواخر سنة 1990، حيث لم يكن في الخارج من يمثلها رسمياً، أو ينطق باسمها، ويعبر عن رأيها وأطروحاتها، وبالتالي تركز عملها وجهدها على الساحة الفلسطينية، ومقاومة الاحتلال، والحفاظ على انتفاضة الحجارة واستمرارها، وترتيب العلاقة مع فصائل المقاومة²².

المرحلة الثانية: وتبدأ منذ إعلانها اعتماد إبراهيم غوشة ناطقاً رسمياً لها خارج فلسطين، وتمثيلها في الوفد الشعبي الإسلامي المؤلف من قيادات الحركات الإسلامية، لزيارة كل من العراق، والسعودية، والأردن، وإيران، قبيل اندلاع حرب الخليج الثانية في كانون الثاني/ يناير 1991 بهدف تسوية الأمر سلمياً بين العراق والكويت²³.

وانطلقت الحركة عقب هذه الأزمة إلى الفضاء السياسي والإعلامي الخارجي الذي بات يهتم بها، بعد أن شكل موقفها المتوازن من الحرب موضع تقدير من معظم الدول العربية²⁴.

²¹ انظر: محسن محمد صالح، "حماس 1987-2005: رصيد التجربة"، ص 87.

²² ياسر قدورة، علاقات حماس في الإقليم العربي، فلسطين المسلمة، كانون الأول/ ديسمبر 2007، ص 28.

²³ عماد الفالوجي، درب الأشواك: حماس - الانتفاضة - السلطة (رام الله: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2002)، ص 70.

²⁴ فيصل حوراني، خبرات الحركة السياسية الفلسطينية في القرن العشرين (غزة: المركز القومي للدراسات والتوثيق، 2000)، ص 422. ويمكن القول إن حرب الخليج الثانية 1991 أثرت على مجمل الأداء السياسي للحركات الإسلامية العربية، ومنها حماس، فقد رأت في غزو العراق للكويت أمراً مستتكرًا شائناً، لكن غزو قوات أجنبية لبلد عربي أمر لا يمكن السكوت عنه، وقد تمّ تفصيل الموقف في كتاب: الحركة الإسلامية في ظلّ أزمة الخليج، بمشاركة 25 من قادة الحركات الإسلامية، ومن إصدار المؤسسة المتحدة للدراسات والبحوث في شيكاغو سنة 1991.



وشهدت فترة التسعينيات استقرار قيادة الحركة في الأردن، وإعلان ممثل لها في عمّان، تبعتها حالات مدّ وجزر بين الطرفين. وقوّت حماس علاقاتها مع السودان واليمن وسورية ولبنان وقطر وإيران، وفتحت مكاتب معلنة أو غير معلنة في عدد من هذه الدول.

المرحلة الثالثة: مرحلة اندلاع انتفاضة الأقصى في أيلول/ سبتمبر 2000، التي شهدت حضوراً أقوى لحماس في قيادة الانتفاضة، ووصول فتح والأنظمة العربية إلى القناعات بعدم القدرة على تجاوز حماس في صناعة القرار الفلسطيني.

المرحلة الرابعة: بعد الانتخابات التشريعية في كانون الثاني/ يناير 2006، وفوز الحركة بأغلبية المقاعد، ثم تشكيلها للحكومة، وبدء نوع جديد من علاقاتها السياسية العربية، لتصبح محوراً مركزياً في صناعة العلاقات الفلسطينية العربية، مع وجود تجاذبات ومحاور لها، وفي الوقت ذاته بروز تناقضات وتباعد للمسافات مع بعضها.

وفي هذه المرحلة التاريخية بالذات، يمكن الحديث بقوة عن دور المكتب السياسي للحركة في الخارج، وما شكّله من دعم ومساندة حقيقية وقوية لها لتوفير الدعم المالي والسياسي، والتأييد الشعبي والرسمي.²⁵

ثالثاً: أهداف حماس من العلاقات العربية:

1. توسيع دائرة الاهتمام والمشاركة العربية في تحمّل أعباء القضية الفلسطينية.
2. تأكيد حضورها على الساحة السياسية العربية.
3. إطلاع الأطراف العربية على وجهات نظرها، لتفهمها دون تشويه.
4. الانفتاح السياسي والإعلامي، إقليمياً ودولياً، وتوفير فضاءات جغرافية لتحركها السياسي.
5. تحقيق التقارب للمواقف العربية السياسية مع مواقف الحركة.
6. الحصول على اعتراف الدول العربية الرسمي بها، وحلّ المشكلات التي تعترض الفلسطينيين فيها، وتوفير الدعم المادي والمعنوي بصوره المختلفة لمساندتهم.²⁶

²⁵ صحيفة الاتحاد، أبو ظبي، 2006/3/1.

²⁶ جواد الحمد وإياد البرغوثي، دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية: حماس، ص 287.

ولأن الحركة على دراية بالمعلن والخفي من المواقف العربية تجاهها، وتدرك حجم العامل العربي في تحديد شرعية النظام الفلسطيني، فإنها لم تنشأ من محيطها العربي سوى ما تستشعر إمكانية التجاوب معه. وبالرغم من أنها حريصة على مدّ يدها لعلاقات عربية قوية وجادة، إلا أن التساؤل الحقيقي كان: إلى أي مدى تبدو جدية الدول العربية في فتح حوار وعلاقات معها؟ وحتى متى ستعمل الحركة لإذابة كرة الثلج المعيقة لتفعيل علاقاتها العربية، وتنميتها، وتقويتها²⁷؟

في المقابل، فإن حماس بعد تقلدها لموقع "السلطة"، بات لديها مصالح مع الدول العربية، أهمها:

1. الحفاظ على وتيرة دائمة من الدعم العربي، لا سيّما المالي منه، في ضوء التهديدات الأمريكية والأوروبية بوقفه، مما شكل تحدياً كبيراً ومبكراً أمامها، في ضوء الاعتماد شبه الكامل للسلطة الفلسطينية على هذه الأموال والمساعدات والمنح، وبالتالي من مصلحتها ألا تعمل على استعداد أيّ طرف، بل الحرص على بناء علاقات جديدة مع الجميع²⁸.
2. تقوية علاقتها بدمشق، كونها الأقرب لحماس في دعم محور المقاومة، وفي ضوء ترحيبها المعلن بفوزها وتسلمها الحكم، واستعدادها لدعمها، مما سيخفف بالتأكيد من وطأة الضغوط المحلية والإقليمية والدولية الممارسة عليها. كما استفادت من وجود قوى مؤثرة وداعمة للمقاومة في لبنان، وعلى رأسها حزب الله، والجماعة الإسلامية.
3. عزمها على نيل "الشرعية العربية"، بعد حصولها على الشرعيات الجهادية والدستورية، ليتم التعامل معها بصورة واضحة دون مواربة أو خجل، ما تطلب تمتين العلاقات، وتنميتها²⁹.

²⁷ فهمي هويدي، فتش عن المؤامرة في توتير علاقة حماس بالدول العربية، الخليج، 2006/2/6.

²⁸ إياد البرغوثي، الأسلمة والسياسة في الأراضي الفلسطينية المحتلة (رام الله: مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان، 2003)، ص 42.

²⁹ أنور عبد الهادي أبو طه وفيصل دراج وجمال باروت، الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية (بيروت: المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، 2000)، الجزء 1، ص 235.



ولتحقيق هذه الأهداف، وضعت حركة حماس سياسات محددة لعلاقاتها العربية، انطلاقاً من إيمانها بأن قضية فلسطين عربية وإسلامية، ليست خاصة بالشعب الفلسطيني فحسب، واعتقادها أن الخطر الإسرائيلي يتهدد الأمة كلها، مما يجعل العرب مسؤولين أمام شعوبهم عن نصرتها، واستناداً لهذه القناعة، رأت الحركة أن تحقيق أهدافها من هذه العلاقات يجب أن يأخذ بعين الاعتبار أبرز ملامح الواقع العربي، على النحو التالي:

1. حالة الفرز والتمحور والانقسام التي تسود العالم العربي، فمنذ أزمة حرب الخليج الثانية، وتأثيراتها السلبية مستمرة على سياسات الدول العربية ومواقفها.
 2. انخراط وتأييد غالبية الأنظمة العربية في عملية التسوية، وعدم قدرة الحكومات المعارضة أو الراضة على التأثير باتجاه مصاد بسبب حجم التأييد الدولي لهذه العملية، والضغط الممارسة عليها لدعمها وتأييدها.
 3. استنزاف جهود واهتمامات بعض الدول العربية في مشاكل وصراعات داخلية وإقليمية ودولية: العراق، والسودان، وسورية، والجزائر، والصومال، ولبنان، وما أفرزه من تركيز الاهتمام على الهم القطري على حساب مواجهة الخطر الصهيوني، واسترجاع فلسطين.
 4. ضعف الإمكانيات المادية، والمديونية الثقيلة التي تخضع لها كثير من الدول العربية³⁰.
- وبناءً على ما تقدم، رسمت حماس سياساتها، بحيث دعت للعمل على رفع الإيجابيات، والحد من السلبيات، والتمسك بالمبادئ والثوابت، وحشد الطاقات لدعم صمود الشعب الفلسطيني لاستكمال النصر والتحرير، بحيث نجحت في الحصول على جانب كبير من "الشرعية الرسمية العربية"، وشكل ذلك خطوة مهمة لتصبح لاعباً إقليمياً. وقد أظهرت حماس بعض المرونة في خطابها السياسي، وحراكها الميداني لتحقيق أوسع انفتاح ممكن على البيئة الرسمية العربية، مما أثار نقاشاً داخلها حول ما إذا كانت مرونتها تحقق المردود المطلوب أم أنها تذهب بلا ثمن³¹.

³⁰ خالد الحروب، حماس: الفكر والممارسة السياسية، ص 171.

³¹ محمد جمعة، "حماس والدائرة العربية"، في محسن محمد صالح (محرر)، قراءات نقدية في تجربة حماس وحكومتها 2006-2007 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2007)، ص 84.

رابعاً: عقبات في طريق علاقات حماس العربية الرسمية:

كشفت واقع العلاقة بين حماس والدول العربية عن مجموعة من الإشكالات الفكرية والعوائق العملية، التي لم تكن حاضرة في المرحلة السابقة لخوض الحركة غمار العمل السياسي الحكومي والبرلماني، حيث تحرر خطابها السياسي من "المصطلحات الدبلوماسية، ومراعاة المصالح، واللباقات الإيجابية"³².

ويمكن استعراض أبرز هذه العوائق والإشكاليات على النحو التالي:

1. الإرث السياسي والتاريخي للإخوان المسلمين:

وهو إرث يلقي بظلاله على واقع وتطور علاقات حركة حماس بالدول العربية، وأوجد تخوفاً لديها من طبيعة ارتباط الحركة بالجماعة الأم، على صعيد إتاحة المجال أمامها لتعمل فيها مباشرة وعلناً، مما قد يخدم برامج عمل الحركات الإسلامية فيها، وهو ما يتعارض مع الأوضاع السياسية القائمة، لذلك لم يكن سهلاً عليها فتح أبوابها كاملة أمام حماس، حتى لو أعلنت حماس عدم التدخل في شؤون الدول العربية الداخلية³³.

وقد حاولت حماس إثبات عدم ارتباطها التنظيمي بالحركات الإسلامية في الدول العربية، وسعت للنأي عن شبهة الإضرار بالأنظمة القائمة، التي رأت في حماس حركة أيديولوجية تتناقض مع منظومتها السياسية، وتأثرت بخصومتها السياسية المزمنة مع الإخوان المسلمين. وكان الأمر بحاجة لمرور وقت يستوعب فيه المحيط العربي غير هذه القناعات المسبقة؛ إذ لم يكن سهلاً على معظم الدول العربية الشعور بالارتياح لفوز حماس في الانتخابات، وهي الحركة ذات الهوية الإخوانية. ولأنه من المستحيل على أي قيادة فلسطينية تجاهل حقائق التاريخ والجغرافيا والاستراتيجية، فقد تطلب ذلك من حماس ألا تتوقف لحظة عن محاولة تحسين موقفها³⁴.

³² بشير نافع، اتفاق مكة مؤشر على القدرات الذاتية للسياسة العربية، القدس العربي، 2007/2/15.

³³ علي الجرباوي، "حماس: مدخل الإخوان المسلمين إلى الشرعية السياسية"، ص 72.

³⁴ بشير نافع، مرجع سابق.



وبشكل عام، فقد تعاملت عدد من الدول العربية، لا سيّما المحيطة بفلسطين، مع حماس على أساس مخاوفها المعتادة من الإسلاميين، وخشيتها من أن نجاح نموذجها قد يؤثر على وضعها الداخلي، من حيث تقوية الإخوان المسلمين. وعلى هذا كان صعودها، واتساع شعبيتها، وفوزها الانتخابي، وتشكيلها للحكومة أمراً غير مرغوب به عربياً، لكن مقتضيات العمل العربي في الساحة الفلسطينية جعلتها تتجنب الدخول في أيّ صراع مكشوف مع الحركة. حاولت حماس، من جهتها، طمأنة هذا المحيط إلى بعدها المحلي، وعدم انجرافها لخطابات التنظيمات الإسلامية في تلك الدول، مما أفادها في الحوارات العربية. وتجلّى ذلك في دخول مصر والسعودية على خطوط الأزمات الفلسطينية للوصول إلى قواسم مشتركة³⁵.

2. الاعتراف العربي بشرعية منظمة التحرير:

كان مما أعاق توسيع علاقة حماس بالأنظمة العربية أن خطابها تضمن مزاحمة غير مباشرة للمنظمة، وأن حماس امتنعت عن الاعتراف الصريح بتمثيل المنظمة الوحيد للشعب الفلسطيني. وقد رأت بعض الأنظمة أن التعامل مع بعض الفصائل محدودة التأثير، أكثر سهولة من التعامل مع حماس ذات الحضور المهم والمنافس للمنظمة.

ولأن الأعراس التي غاب الإسلاميون الفلسطينيون فيها عن ساحة الفعل السياسي والعسكري، وانفردت منظمة التحرير بتوجيه دفعة النضال الوطني، كانت كفيلة بترسيخ جذورها في المحيط العربي، فقد اصطدمت حماس في علاقاتها بهذه الأطراف بعدم موافقتها مبدئياً على احتمال طرح نفسها بديلاً للمنظمة، أو الاعتراف بها على هذا الأساس³⁶. غير أن حماس التي تدرك هذا الواقع تماماً لم تقم إطلاقاً بطرح نفسها بديلاً للمنظمة، وركّزت على إعادة بناء المنظمة وتفعيل مؤسساتها على أسس جديدة.

3. مشاريع التسوية السلمية:

بدءاً بانعقاد مؤتمر مدريد سنة 1991، فاتفاق أوسلو سنة 1993، ووادي عربة مع الأردن سنة 1994، والعلاقات الإسرائيلية - العربية الرسمية وشبه الرسمية، وانتشار التطبيع، ابتعدت الأجواء العربية بالتدريج عن خيار المقاومة وشعاراتها، فحملتها

³⁵ محمد السعيد إدريس، حماس والعرب والطريق الخامس، الخليج، 2007/7/1.

³⁶ خالد الحروب، حماس: الفكر والممارسة السياسية، ص 166.

حماس وحاولت بعث الحياة فيها، وأرادت أن تبني علاقاتها بالمحيط العربي على أساسها؛ لتجد نفسها تسير عكس التيار، فهي تدعو للمقاومة المسلحة، في وقت ذهب فيه الجميع إلى التسوية³⁷.

وهكذا، بقي الالتزام بتحرير فلسطين، وعدم الاعتراف بالمحتل الإسرائيلي، أحد أهم معوقات علاقات حماس العربية، بسبب التباين الشاسع في الفكر والطرح بين ما تعلنه الحركة من رفض أيّ تفاوض أو اعتراف تحت أيّ ذريعة أو مقابل؛ وما تتبناه الأنظمة العربية المنخرطة في عملية التسوية، والتي قطعت شوطاً طويلاً في التفاوض والاعتراف³⁸.

4. الحملة الغربية على الحركات الإسلامية:

فقد وصفتها هذه الحملة بـ"الإرهاب"، وقامت بمحاربتها وملاحقتها، وتجفيف منابعها، ومطاردتها. ومما زاد معاناة حماس، أن تنامي هذه الحملة تزامن مع تصاعد قوتها، وتزايد نفوذها، مع اندلاع انتفاضة الأقصى 2000. وقد جاءت أحداث أيلول/سبتمبر 2001، والتداعيات الخطيرة التي نتجت عنها، وإدخال الحركة في قوائم "الإرهاب"، لتشكل ردعاً لكثير من الدول العربية عن الذهاب بعيداً في العلاقة مع حماس؛ ليصبح مجرد اللقاء معها مثيراً للتساؤل، وربما للضغط المباشر، وليصبح عدم إدانتها للعمليات المسلحة التي تقوم بها الحركة داخل الأراضي المحتلة مدعاة للإحراج مع الغرب عامة، والولايات المتحدة خاصة.

5. تفكيك علاقة حماس بإيران:

مع زيادة النفوذ الإقليمي ل طهران، وحديث بعض الأنظمة العربية عن "مخاطر الهلال الشيعي"، بدت المنطقة منقسمة بين محورين، وصنفت حماس على المحور الإيراني - السوري، علماً بأن حماس أدركت أن استحقاقات الداخل الفلسطيني تتطلب منها الابتعاد قدر الإمكان عن أيّ ورقة إقليمية، من شأنها تأليب الأطراف العربية الداعمة ضدها، وفقدان تأييدها، أو على الأقل فقدان موقفها الحيادي³⁹.

³⁷ علي الجرباوي، موقف الحركات الإسلامية الفلسطينية من الاتفاق الفلسطيني - الإسرائيلي، صحيفة المستقبل العربي، عمان، شباط/فبراير 1994، ص 53.

³⁸ محمد جمعة، مرجع سابق، ص 85.

³⁹ عدنان أبو عامر، الحركة الإسلامية في قطاع غزة بين الدعوة والسياسة، ص 78.



وبقدر ما راهنت إيران على الاستفادة من ورقة المقاومة وحماس في دعم نفوذها الإقليمي، سعت أطراف عربية أخرى كالسعودية ومصر؛ لفك الارتباط بين الطرفين، أو تخفيف مستوى التأثير. وقد أثبتت الأحداث أن حماس متنبهة للأمر، وأنها حافظت على استقلالها، وأنه لم يتم ارتهائها لأي طرف⁴⁰.

وفي ضوء تعداد العوائق الخمس السابقة التي واجهت علاقات حماس العربية، يمكن الإشارة إلى بعض الملاحظات:

أ. عدم إفراد الحركة على المستوى النظري مساحات كافية للحديث عن العلاقات العربية، مكتفية بإشارة في الميثاق تحذر وتنبه لخطورة الغزوة الصهيونية، ومطالبة الدول العربية المحيطة بـ"إسرائيل" فتح حدودها أمام المجاهدين؛ حتى إن برنامجها الانتخابي لسنة 2006، لم يفرّد مساحة واسعة للعلاقات العربية، وأدرجها ضمن محور العلاقات الخارجية والمجتمع الدولي⁴¹.

ب. محدودية الزيارات، على الصعيدين الرسمي والشعبي، وتكرار أسماء الرموز ذاتها في معظم الزيارات، واللقاءات الرسمية والشعبية.

ج. عدم إنشاء بنية تنظيمية هيكلية لحماس خارج فلسطين، والاكتفاء باعتماد كوادر سياسية وإعلامية مختارة تقوم بعمل الرديف للعمل الأساسي القائم داخل الأرض المحتلة، مما أدى لضعف خطوط التزويد والإمداد بالكوادر المطلوبة عن طريق إفراد قاعدي طبيعي، ومحدودية جهاز الحركة الإداري والسياسي في الخارج، وهو ما تمّ تداركه لاحقاً.

والمواقع أن التزام حماس بعدم إنشاء تنظيم خارج فلسطين (حتى سنة 2011) كان مثار نقاش، وكانت خلفية التبرير تتحدث عن وجوب تجنب تكرار تجربة الفصائل الفلسطينية التي نظمت الفلسطينيين في الدول المقيمين فيها، مما أدى لاصطدامها بالأنظمة العربية، كما حدث في الأردن ولبنان⁴². غير أن قرار مكتب الإرشاد لجماعة

Shaul Mishal and Avraham Sela, *op. cit.*, p. 143. ⁴⁰

كتلة التغيير والإصلاح، البرنامج الانتخابي لانتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني الثانية 2006. ⁴¹

⁴² حين استقرت حماس في سورية، أوائل سنة 2000، أقامت هناك هيكلية تنظيمية وقواعد حركية، اقتربت من الوصول إلى تنظيم قائم بذاته، يشمل الدوائر السياسية والعسكرية والأمنية والإعلامية، مما شكل عليها عبئاً كبيراً، أمنياً ومالياً.

الإخوان المسلمين (في تشرين الثاني/ نوفمبر 2011) بالموافقة على إنشاء تنظيم خاص بالإخوان المسلمين الفلسطينيين، وفصله عن تنظيم بلاد الشام، (حيث كان تنظيماً فلسطين والأردن موحدين في ظلّه منذ سنة 1978) وضمّ مكاتب الخليج إلى الإخوان الفلسطينيين، قد شكّل نقلة نوعية في عمل حركة حماس في الخارج.

وبالرغم من أن حماس تضع القضية في إطارها العربي والإسلامي من زاوية توسيع دائرة الصراع، لكنها ركزت على الإطار الشعبي ومؤسسات المجتمع المدني أكثر من المؤسسات الرسمية، بعد أن أوصدت في وجهها معظم بوابات الأنظمة. غير أن حماس سعت إلى أن تكون أكثر فعالية في بناء العلاقات مع الأنظمة الرسمية بعد فوزها في الانتخابات، وتشكيلها للحكومة الفلسطينية العاشرة سنة 2006؛ وبعد مواجهة جملة التحديات التي وجدت نفسها أمامها، لا سيّما بعد التهديدات الأوروبية والأمريكية بقطع المساعدات والتمويل المالي عن حكومتها أوائل شهر نيسان/ أبريل 2006. وقد تفاوتت مواقف تلك العواصم من نتائج الانتخابات بين مرحب وداعم، ومتحفظ ومراهن على الفشل، وبالرغم من أن بعض الدول استقبلت قيادات حماس واستجابت بتوفير الدعم المالي، إلا أنها لم تستطع (أو لم ترغب) توفير الشرعية العربية الداعمة لمواقف حماس.

خامساً: البعد الشعبي في علاقات حماس العربية:

تطور اهتمام حركة حماس بالمستوى الشعبي العربي، متمثلاً في التيارات الجماهيرية والقوى السياسية، لا سيّما الإسلامية منها، متزامناً مع تطور تجربتها في العمل، وقراءة الواقع بصورة صحيحة، لأن نظرتها لهذا المستوى مغايرة للمستوى الرسمي، حيث تحدث ميثاقها عن التجمعات الوطنية والدينية والمؤسسات العربية، ويستحثها لتكون سنداً وظهيراً لها، وبعداً استراتيجياً على كافة المستويات البشرية والمادية والإعلامية والزمانية والمكانية⁴³.

ولئن كان للمستوى الرسمي ضرورات تقدرها الحركة، وتأخذ منها الهامش المتاح لدعم القضية الفلسطينية، وتجاوزها لتوسيعه؛ فإن الصلة ظلت مفتوحة مع العمل

⁴³ ميثاق حماس.



الشعبي، فسعت إلى تطويره والتعاطي معه بانفتاح كبير، مما جعل عملها في أغلبه معه، لأن الأنظمة العربية محكومة بسياسات وضغوط⁴⁴.

على هذه القاعدة، صاغت حماس مجموعة من السياسات العامة إزاء علاقاتها السياسية بالجهات الشعبية العربية، بموازاة العلاقة مع الجهات الرسمية، يمكن تحديدها بالنقاط التالية:

1. إقامة علاقات مع مختلف الشرائح الشعبية دون إهمال أو تجاهل أيٍّ منها، مع مراعاة الأولويات حسب الأهمية، والحرص على تعبئتها بالقضية وكسب تأييدها وتعاطفها، وتجنيد طاقاتها، كلٍّ حسب إمكاناته، ومن الموقع الذي يستطيع.
2. توثيق علاقاتها مع الجهات الشعبية المختلفة، بغض النظر عن انتمائها الفكري أو السياسي، باعتبار قضية فلسطين تعني الأمة جميعاً، وللجميع حقّ الإسهام في معركتها، مع إعطاء الأولوية للحركات الإسلامية والمؤسسات الشعبية ذات التوجه الإسلامي.
3. تجنب الدخول في الانقسامات العرقية والإقليمية والطائفية في الأمة العربية، والابتعاد عن المشاركة في معارضة الاختلافات الفقهية في المسائل الدقيقة والتفصيلية، مع وضوح انتمائها الفكري.
4. تبني إعلامها ومواقفها للقضايا العادلة للشعوب والحركات العربية، والوقوف مع الحق ضدّ الباطل، والعدل ضدّ الظلم، والانتصار للمعاني الإنسانية وحقوق الإنسان، وفي حال الإحراج والاضطرار يمكنها عندئذ السكوت، ولا تتجاوز مطلقاً إلى موقف يعارض مبادئها⁴⁵.
5. الدعوة لمعاني الوحدة والتفاهم والتعاون والتنسيق بين مختلف القوى والمؤسسات الشعبية العربية، وتشجيع كلّ تقارب وتوحد على الخير وإصلاح ذات البين، ونبذ أشكال الفرقة والتناحر والتخاصم، وتأكيد ذلك عبر سلوكها⁴⁶.

⁴⁴ أنور عبد الهادي أبو طه وفيصل دراج وجمال باروت، مرجع سابق، ص 237.

⁴⁵ يمكن الحديث بالتفصيل والإسهاب عن موقف حماس من أحداث الربيع العربي، والتزامها الصمت تجاهها، بالرغم من انحيازها العام للشعوب، وما كلفها ذلك من انتقادات من جانب الأنظمة، لكنها أدركت أن الإفصاح عن موقف صريح واضح قد تكون كلفته أكبر وثمنه أفدح.

⁴⁶ عبد الستار قاسم، حماس والدوران في فلك الأنظمة العربية، إسلام أون لاين، 2007/3/18، انظر: <http://ww2.onislam.net/arabic/newsanalysis/analysis-opinions/palestine/89083-2007-03-18%2016-57-23.html>

6. الصبر وطول النفس وحسن المتابعة في تحريك الجماعات والمؤسسات الشعبية، وكسب تأييدها لصالح الحركة، ونقلها للمستوى المطلوب من الدعم، وتجنب قطع العلاقات معها، أو إهمالها ومجافاتها؛ فالزمن والجهد الدؤوب ضروريان لحشد قوى الأمة في مواجهة الخطر الإسرائيلي.

7. التركيز على المفاتيح الأساسية في كل شريحة وفئة، من كبار العلماء والمفكرين، والصحفيين والإعلاميين، لأنه يحقق كسباً أكبر وأسرع لصالح الحركة⁴⁷.

ويشير ما تقدم إلى زيادة ملحوظة في جرعة الواقعية السياسية، خصوصاً بعد أن دخلت في التعامل التفصيلي مع الواقع العربي المعقد، الذي يشكل البعد الشعبي فيه أحد مساراته المهمة والمتداخلة والحساسة.

وتبدى ذلك من خلال مشاركة رموز حماس في المؤتمرات واللقاءات والمهرجانات الجماهيرية، خطباء ومتحدثين، أو الاعتماد على التجمعات القطرية في كل بلد، وإن تفاوتت مهامها واحتفالاتها من دولة لأخرى، حسب خصوصيتها وأوضاعها الداخلية، كما تفاوت الدعم الشعبي العربي لها من تجمع لآخر⁴⁸.

وأبقى استناد حماس على تفاعل الحركات الإسلامية والتحركات الشعبية في الدول العربية، على مسافة بينها وبين الاصطدام بالسياسات الحكومية فيها. ونجحت في تقليل نقاط التماس مع الأنظمة، لكنها حُرمت أحياناً من فوائد الاتصال المباشر، وبناء العلاقات الدائمة واستثمارها؛ لا سيما وأن الكثير من الأنشطة التضامنية نظمت تحت شعارات عامة كدعم مقاومة الشعب الفلسطيني⁴⁹.

ويمكن القول إن القراءة العامة لسياسات حماس في التعامل على الصعيد الشعبي، تؤكد أنها نجحت إلى حد كبير في التعامل مع الوضع العربي المعقد وبيئاته الشعبية. وقد اهتمت بإصدار بيانات وتصريحات حول مختلف الأحداث العربية على المستوى الشعبي، وإبداء موقفها منها، وأصبح لها اتصالاتها النشطة لتمتين وتعزيز علاقاتها الشعبية، لما قد توفره لها من غطاء وشرعية. مع العلم بأن ملفات الحركة في علاقاتها

⁴⁷ عبد الإله بلقزيز، وهن في علاقة القرار الفلسطيني بالمضي في الوضع العربي، مدونة بلقزيز، 2009/3/14، انظر: <http://infobelkizabelillah.over-blog.com/article-29272926.html>

⁴⁸ مجلة القدس، مركز الإعلام العربي، القاهرة، نيسان/أبريل 2004، ص 16.

⁴⁹ خالد الحروب، حماس: الفكر والممارسة السياسية، ص 194.



بالأحزاب والحركات السياسية العربية حافلة برسائل التأييد والمساندة والدعم والمباركة، خصوصاً في الأحداث المفصلية، مما يوفر لها أرضية خصبة لتقوية علاقتها العربية الشعبية⁵⁰.

سادساً: المواقف العربية من حماس :

فرض تبدل المواقع في صناعة السياسة العربية على حماس والأنظمة العربية إعادة ترتيب عدد من القضايا، ولهذا كان من الطبيعي ألا تظل أو تتجمد علاقاتهما عند سابق مستواها، بل طرأت عليها تطورات رفعت من الرغبة بتبادل وجهات النظر وجهاً لوجه، وربما القبول الجزئي المتبادل المؤقت على الأقل.

وفي حين تركز حماس في علاقاتها العربية على أربع مرتكزات هي: السعودية والأردن وسورية ومصر، فإن قادة الحركة في قطاع غزة يميلون للتركيز على العلاقة مع مصر بحكم عوامل الجغرافيا والتاريخ والاجتماع، فيما يفضل قادتها في الضفة الغربية، الانفتاح على الأردن للعوامل نفسها، ولذلك ليس غريباً أن تكون مصر والأردن ومعهما السعودية وسورية القوى العربية الرئيسية بالنسبة إلى حماس⁵¹.

الجدير بالملاحظة أن دول المغرب العربي لم تلقَ من حماس الاهتمام اللازم، لإقامة العلاقات معها، وتعزيزها، وتقويتها، كما لم تحظْ حماس من هذه الدول بدرجة مميزة من الاهتمام، ولم تشهد عواصمها إلا نادراً زيارات لقادة الحركة وممثليها ووزرائها على غرار بقية العواصم العربية، مع الإشارة إلى تزايد الانفتاح على تونس بعد ثورتها سنة 2011. ويمكن تفسير ذلك بعاملين:

1. تركيز حماس في علاقاتها العربية على "دول الطوق"، ذات التأثير والتأثر بمجريات وتداعيات القضية الفلسطينية، كمصر، والأردن، وسورية، ولبنان.
2. يتعلق بدول المغرب العربي نفسها، لأنها دأبت على تحجيم وتقزيم ومنع أي دور للإسلاميين فيها، وتجربتها معهم غير مشجعة، بل فاشلة، كتونس والجزائر.

⁵⁰ أصدرت حماس العديد من البيانات الموجهة للمستوى الشعبي العربي، منها: بيان ضد العقوبات على ليبيا سنة 1992، وآخر تعزية للشعب المصري في السنة ذاتها عقب الزلزال الذي ضرب مصر، وبيانات أخرى تجاه العديد من المشكلات والقضايا والأزمات التي تعرض لها الشعب العراقي سنة 2006.

⁵¹ عدنان ملحم، حماس: قراءة في أدواتها التنظيمية والفكرية والسياسية، الأيام، 2006/2/21.

وبالتالي لم ترَ حماس ضرورة إيجاد ممثلين وناطقين باسمها في تلك الدول، فضلاً عن التجذر في علاقة الأخيرة بمنظمة التحرير. ويبدو أن الحركة لم تشأ مزاحمتها بذلك، ونأت بنفسها عنها، لذلك بقيت المغرب والجزائر وتونس وموريتانيا إلى حدٍ كبير خارج جدول زيارات حماس وعلاقاتها واهتمامها. مع العلم أن المستوى الشعبي في تلك البلدان يستحق أن يحظى باهتمام الحركة، لا سيّما مع النشاطات المؤيدة للفلسطينيين عامة، وحماس خاصة، كما أن الدولة على المستوى الرسمي لها سجل طويل من المواقف المساندة والداعمة للقضية الفلسطينية.

ويمكن على سبيل التخصيص، الحديث عن أهم محاور العلاقات العربية لحركة حماس، مع الدول الآتية:

1. العلاقة مع مصر:

الدولة العربية الأبرز والأكبر، ذات الوزن السياسي والعسكري والديموغرافي والسجل التاريخي في الصراع العربي - الإسرائيلي، ومن البديهيات السياسية أن يكون لحماس علاقة معها، بفعل روابط العروبة والإسلام واللغة والتاريخ والجغرافيا، التي تفرض نفسها فرضاً عندما يتم الحديث عنهما، ومهما يكن الخلاف بين مصر وحماس، فإنها لا تقطع "شعرة معاوية" معها، لأنها عند ذلك ستخسر دورها "الأبوي"، وتفقد قدرتها على الإمساك بخيوط وتشابكات الوضع الفلسطيني⁵². وتذكر حماس أن مصر ليست اسماً أو رقماً أو جغرافياً فقط، وأن العلاقة معها ليست حالة طارئة، بل ضرورة قومية للفلسطينيين، ومع ذلك فقد وصلت علاقتهما في عدد من المحطات السياسية لحالة من "الفتور الساخن"، وهي حالة ليست عابرة في مسار علاقتهما، لأن محطات العلاقة بينهما جاءت باهتة في غالب الأحوال، ويرافقها دوماً تبادل للشك والريبة، وفقدان للثقة المتبادلة، وبدا التآرجح المتواصل فيها متصلاً دائماً.

ولأن مصر تدرك بأن أمنها القومي يمتد إلى قطاع غزة حيث يتنامى مشروع إسلامي "مبهم" من وجهة النظر المصرية، وأن الوصول هناك يفترض بالضرورة وجود علاقة مباشرة مع حماس، حتى ولو وصلت التباينات معها درجة كبيرة، فإن

⁵² حسن نافعة، مصر وحماس.. والحاجة لصياغة جديدة لأسس العلاقة، الحياة، 2006/12/27.



حماس تؤكد على لسان نائب رئيس مكتبها السياسي موسى أبو مرزوق أن العلاقات بمصر لن تحكمها ظروف مؤقتة راهنة، لأنها أكبر من ذلك بكثير⁵³.

ولذلك تميزت مواقف حماس في التعاطي مع مصر بالمرونة والديناميكية، والحرص على سلاستها، حتى في أسوأ الظروف التي عاشها الفلسطينيون في قطاع غزة إبان الحرب الإسرائيلية. وسعت حماس لتوظيف العديد من نقاط التقاطع لطمأنة مصر، وإظهار روح المسؤولية تجاه المصالح الفلسطينية والمصرية، في حين سعت القاهرة بشكل منهجي حذر لمحاولة ضبط إيقاع عمل حماس، وإبقاء هامش من العلاقة يُمكن من التأثير عليها، وتطويره إلى شكل من أشكال الاستيعاب و"الترويض"، ولذلك حرصت على المحافظة على علاقات جيدة مع الحركة⁵⁴.

ومع توالي فرض حماس للوقائع السياسية في الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1967، خصوصاً بعد انتفاضة الأقصى، فقد انعكس ذلك إيجاباً في القاهرة، ومنحها مكانة ذات اعتبار لم تُحصّلها في الماضي، فمندوبوها تلقوا الدعوات مرات عديدة لإجراء محادثات فيها، وهي مكانة لم تحظّ بها جماعات إسلامية كبيرة كالإخوان المسلمين (حتى سنة 2011)⁵⁵.

ارتكزت علاقة مصر بحماس على مجموعة من العوامل لضبط إيقاعها، منها:

- أ. النظر للقضية الفلسطينية من خلال دورها الإقليمي والعربي.
- ب. الالتزام بمسار التسوية، الذي أدى لاختلال موازين القوى لصالح "إسرائيل".
- ج. عدم الراحة للتعامل مع تنظيم ينتمي للإخوان المسلمين، لكنها مضطرة لذلك لقوة أدائها، واتساع شعبيتها.
- د. إدراك رغبة "إسرائيل" بإلقاء تبعات إدارة قطاع غزة على كاهل مصر، وما يشكله ذلك من خطر على الدولة الفلسطينية المقبلة.

⁵³ علي بدوان، مصر وحماس والتباعدات العلاقة بينهما، موقع الراصد للبحوث والعلوم، 2009/11/6، انظر:

<http://www.arrasid.com/index.php/main/index/10/9/contents>

⁵⁴ محسن محمد صالح، مصر وحماس.. طبيعة العلاقة ومسارها، الجزيرة.نت، 2009/1/15، انظر:

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/B4CB7A98-CB61-44C3-A2AE-465AEC8EAC13.htm>

⁵⁵ Mohammad Yaghi and David Schenker, Hamas-Egyptian Relations Deteriorate, site of The Washington Institute for Near East Policy, 2/1/2009, <http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/hamas-egyptian-relations-deteriorate>

هـ. مهما كان الخلاف مستحكماً بين حماس ومصر، فإن إمكاناتها البشرية والمادية الهائلة يبقونها ذخراً للقضية الفلسطينية، ومظلة مقبولة لا يمكن الاستغناء عنها في ضبط نسق العلاقات الفلسطينية الداخلية⁵⁶.

ظلت العوامل السابقة تحكم العلاقة مع مصر حتى قيام ثورة 25 يناير 2011، حيث دخلت مصر في مرحلة من التغيرات والتقلبات، ما زالت تداعياتها مستمرة حتى لحظة كتابة هذه السطور. فقد شهدت الفترة التي تلت سقوط نظام حسني مبارك وتولى خلالها المجلس العسكري السلطة تحسناً نسبياً في العلاقات بين النظام وحماس، ناتج عن أجواء الثورة المساندة للحق الفلسطيني والمساندة للمقاومة والمعادية لـ"إسرائيل"، ثم إن فوز الإسلاميين (والإخوان المسلمين تحديداً) بالانتخابات التشريعية والرئاسية أضاف زخماً جديداً للعلاقة مع حماس. وشهدت الفترة التي تولى فيها الرئيس محمد مرسي الرئاسة منذ 2012/6/30 وحتى أطاح به انقلاب عسكري في 2013/7/3 تحسناً كبيراً في العلاقات الرسمية مع حماس، بالإضافة إلى فتح مصر أبوابها لزيارات قادة حماس، وإقامة الفعاليات الشعبية الواسعة المؤيدة للمقاومة ولقضية فلسطين بالتنسيق مع حماس ونشاطاتها.

وقد واجهت الرئاسة المصرية صعوبات حقيقية في تنفيذ برامجها على الأرض حيث واجهت موجة من التعطيل بسبب عدم تعاون "شبكة الدولة العميقة" المنبثقة في أجهزة الدولة، وبسبب تعطيل القضاء للمؤسسة التشريعية... غير أن الرئاسة والحكومة وقفت بفعالية إلى جانب قطاع غزة وحكومة حماس في مواجهة العدوان الإسرائيلي في تشرين الثاني/ نوفمبر 2012، وتبنت مطالب حماس في إيقاف العدوان وفك الحصار، وقام رئيس الوزراء المصري بزيارة غزة في أثناء العدوان، كما نسقت الحكومة المصرية زيارة عدد من وزراء الخارجية للقطاع. كما تم تخفيف الإجراءات على معبر رفح من الجانب المصري. وعقدت حماس مجلسها المركزي وانتخبت قيادتها في ربيع 2013 بمعرفة القيادة المصرية.

غير أن الانقلاب العسكري سعى إلى ترتيب الأوضاع في مصر بشكل يستأصل فيه أو يهشم "الإسلام السياسي" ويضرب جماعة الإخوان المسلمين، ويعدّها جماعة

⁵⁶ قسم الأرشيف والمعلومات - مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، مصر وحماس، سلسلة تقرير معلومات (7) (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009)، ص 45.



إرهابية. وبالتالي سلك سلوكاً معادياً تجاه حماس، وأغلق الأبواب في وجهها، وشدد الحصار على قطاع غزة، وقام بهدم الأنفاق. كما أصدر القضاء المصري قراراً مُسيئاً بحظر أنشطة حركة حماس في مصر ومصادرة ممتلكاتها. وتعرضت حماس، خصوصاً منذ الانقلاب، إلى حملة إعلامية شرسة مليئة بالادعاءات غير المستندة إلى أي أدلة، لكنها من خلال كثرتها وتتابعها وعدم فتح المجال الكافي للرد عليها، سعت إلى تقديم صورة سوداوية مشوهة عن حماس لدى المواطن المصري العادي.

ومع ذلك، فإن استقرار الأوضاع في مصر، سيصب باتجاه سياسات أكثر اعتدالاً تجاه حماس، إذا ما رغب النظام المصري باستعادة دوره المركزي في القضية الفلسطينية، والتعامل بشكل معقول مع الأطراف الرئيسية في المعادلة السياسية الفلسطينية، والتي تشكل حماس أحد أركانها.

2. العلاقة مع سورية:

لعبت عدة عوامل دوراً أساسياً في تطوّر واستمرار علاقة الطرفين، أهمها:

- أ. وجود قواسم مشتركة بينهما، كعدم الاعتراف بـ"إسرائيل".
- ب. التوافق حول نهج المقاومة كخيار استراتيجي، وحقّ الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال، ورفض وصفها بـ"الإرهاب".
- ج. رفض سورية المشاركة بمؤتمر شرم الشيخ المنعقد في آذار/ مارس 1996، وحضرته أكثر من ثلاثين دولة، وأطلق حملة دولية ضدّ المقاومة الفلسطينية.

وقامت دمشق سنة 1995 باستقبال موسى أبو مرزوق، رئيس المكتب السياسي لحماس آنذاك، والمهندس عماد العلمي عضو المكتب السياسي بعد طردهما من الأردن، وكررت ذلك سنة 1999 حين استقبلت أربعة من قادة الحركة وعلى رأسهم خالد مشعل، رئيس المكتب السياسي، بعدما أبعدهم السلطات الأردنية، فيما أسهم سلوك حماس بتعزيز العلاقات معها، حيث اعتمدت الشفافية والمصادقية معها، ولم تتدخل في شؤونها الداخلية، أو تهاجمها حين أجرت مفاوضات مباشرة مع "إسرائيل"، لكنها أعلنت موقفها الرافض بوضوح لها، وربما ما ساعد على تنامي العلاقة بينهما، أن سورية لم تمارس ضغطاً على حماس للاعتراف بـ"إسرائيل"⁵⁷.

Matthew Levitt, *Hamas: Politics, Charity, and Terrorism in the Service of Jihad* (Washington: 57 Yale University Press, 2006), p. 136.

وقد عبر خالد مشعل أواخر سنة 2005 عن علاقة الحركة بسورية بقوله أنها تملك حلفاء أقوياء، بعد الإدراك أن الدافع الحقيقي للسياسة الأمريكية تجاهها هو معاقبتها على مواقفها القومية المناهضة للسياسة الأمريكية والصهيونية في فلسطين ولبنان والعراق، والرغبة بتطويع الموقف السوري ليسير في "الفلك الأمريكي"، والخضوع لبرنامج وألوياته في المنطقة، مشيراً إلى أن قوى المقاومة في المنطقة، فلسطين ولبنان والعراق مع سورية، تقف بجانبها في خندق المقاومة والصمود والممانعة، وهي ليست وحدها في مواجهة هذه المعركة، بل "نحن جميعاً معها، ولن نسمح لأحد بالاستفراد بها، ولا بأي طرفٍ من أطراف جبهة المقاومة والممانعة الممتدة"⁵⁸.

وبعد تجاوز حماس لمجموعة من الإشكاليات في العلاقة مع سورية، أهمها أنها حركة إسلامية ذات امتداد لجماعة الإخوان المسلمين التي خاضت صراعاً دموياً مع النظام السوري بداية الثمانينيات، أخذت مظاهر تزايد تحالفها مع دمشق مظاهر شتى ومؤشرات عديدة، منها:

- أ. تحول سورية لتصبح المقر شبه الدائم لقيادة حماس، عقب ترحيلها من الأردن.
- ب. الترحيب بفوز حماس في الانتخابات التشريعية، واعتبار الرئيس بشار الأسد "أن انتصارها سيخفف الضغوط على سوريا".
- ج. استقبالها لعدد من مسؤولي ووزراء حكومة حماس في قطاع غزة، أبرزهم رئيس الوزراء إسماعيل هنية، وزير الداخلية والخارجية سعيد صيام ومحمود الزهار.
- د. وعدها بتقديم الدعم المالي واللوجستي للحكومة الفلسطينية، ورفع مستوى التمثيل الدبلوماسي، ودخول حاملي جوازات سفر السلطة الفلسطينية إلى أراضيها، وإدخال 400 فلسطيني عالقين على الحدود السورية العراقية إلى حدودها⁵⁹.

وقد انقسم المراقبون في توصيف علاقة حماس بسورية على النحو التالي:

- أ. علاقة التبعية والارتهان، ولعل ما يريح حماس ونهجها السياسي تجاه علاقتها بسورية، إدراكها واقتناعها بأن هذه الاتهامات تستند لأدلة غير منطقية، وتقوم

⁵⁸ رضوان السيد، حماس والعرب والمستقبل، صحيفة المستقبل، بيروت، 2006/2/3.

⁵⁹ رأفت مرة، "حماس وإيران وسورية.. مصالح في مناخات متوترة"، في تركي الدخيل وآخرون، حركة حماس، الكتاب العشرون (دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، 2008).



على اتهامات باطلة، ويراد من خلالها إظهار تبعيتها لجهات خارجية لنفي الصفة الوطنية عنها، والزمع بأنها تابعة للنظام السوري، كجزء من خطة لتشويه سمعتها، وهو ما دفع بممثلها السابق في دمشق عماد العلمي للقول إن الموقف الدولي المعارض لها ليس بسبب علاقاتها بسوريا، بل لرفضها الاعتراف بـ"إسرائيل"، ورفضها الاتفاقيات الموقعة معها، وتمسكها بمسيرتها الجهادية، وعرقلتها لاتفاق أو سولو وخارطة الطريق.

ب. وضعهما في خانة واحدة كحلف سياسي استراتيجي، ففي حين وجدت حماس في سورية حاضنة جغرافية سياسية، حين عزت عليها العواصم، فإن الأخيرة استفادت من علاقتها الوثيقة بها، لأنها أظهرت اهتمامها بالقضية الفلسطينية من منطلقات قومية ووطنية، وحصدت مكاسب شعبية وعربية وإسلامية كثيرة من وراء ذلك. وفي إطار صراعها مع "إسرائيل"، استفادت سورية من دعم حماس، بتعزيز وضعها السياسي في مواجهة الأطماع والتهديدات الإسرائيلية، بما ينسجم مع موقعها الجيو-سياسي وتاريخها⁶⁰.

ج. علاقتها استراتيجية على قاعدة الموضوعية، وتبادل المصالح، والتوازنات القائمة على قواسم مشتركة.

وللتدليل على التوصيف الأخير، هناك تباينات جوهرية في مواقف حماس وسورية، منها:

أ. تعارض الحركة النهج السوري القائم على أن السلام مع "إسرائيل" خيار استراتيجي، وقبولها بالاعتراف بها، وتوقيع اتفاقية سلام معها، وقبولها بدولة فلسطينية نهائية على حدود سنة 1967، ضمن الرؤية العربية الرسمية للصراع، لكن رؤية حماس تذهب إلى أن إنهاء الصراع يكون بعد تحرير فلسطين من البحر إلى النهر.

ب. لم تعترف حماس حتى اليوم بالمبادرة العربية للسلام التي أقرت في القمة العربية في بيروت في آذار/ مارس سنة 2002، وهذا مخالف للرأي السوري الذي يتبنى الموقف العربي، وصولاً إلى اجتماع أنابوليس في الولايات المتحدة نهاية سنة 2007.

⁶⁰ سلمان سلمان، العلاقة الحائرة بين حماس وسورية، موقع الركن الأخضر، 2011/9/9، انظر:

http://www.grenc.com/show_article_main.cfm?id=23837

ج. تعارضت وجهتا نظر حماس وسورية في الموقف من الغزو العراقي للكويت سنة 1990، حيث شاركت الأخيرة مع الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية في حلف واحد، حين جاءت الأساطيل الأمريكية لضرب الجيش العراقي. غير أن موقف حماس بالرغم من معارضته للاحتلال العراقي للكويت، إلا أنه كان ضد التدخل الأمريكي الغربي في المنطقة، حرصاً على مقدراتها، وسعيًا إلى أن يحلّ العرب خلافاتهم بأنفسهم.

د. تباينت مواقف الطرفين حول الاحتلال الأمريكي للعراق سنة 2003، فقد ركّزت حماس على أنه إضعاف للأمة، واستهداف للمنطقة، بينما ركز السوريون (مع إدراكهم للخط الأمريكي) على إزالة الرئيس العراقي صدام حسين، عدو دمشق التاريخي في المنطقة⁶¹.

هذا ما دفع بالباحثة الإسرائيلية عنات كورتس للقول: "حماس قبل كل شيء حركة وطنية وفلسطينية، وأيّ اقتراب مبالغ فيه مع سوريا يمكن أن يُفقد موقعا الثابت على الساحة السياسية الفلسطينية"، فيما يشكك رجل الاستخبارات الإسرائيلية السابق عاموس جلبوع Amos Gilboa بتبعيتها لسورية قائلاً: "حماس حافظت على استقلالها، وبرنامج عملها خالف برنامج سوريا مخالفة تامة"⁶².

في المقابل، فقد اضطرت سورية لدفع أثمان لعلاقتها مع حماس، على النحو التالي:

أ. بعد اندلاع الانتفاضة الثانية في سبتمبر/ أيلول 2000، واتساع دائرة العمليات الاستشهادية التي نفذتها قوى المقاومة الفلسطينية داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1948، وعلى رأسها حماس، تصاعدت التهديدات الإسرائيلية لسورية، وحملتها مسؤولية إيواء قادة المنظمات الفلسطينية، والترويج بأن أوامر تنفيذ عمليات المقاومة تصدر منها.

ب. في رسائل واضحة للضغط عليها، نفذت "إسرائيل" تهديداتها المباشرة بشن غارات على سورية، رداً على ما تقدّمه من دعم وحماية لحركة حماس، كما اغتالت عزّ الدين الشيخ خليل؛ أحد المسؤولين العسكريين الأساسيين فيها.

⁶¹ شاكر الجوهري، ماذا يقف خلف تطورات علاقات دمشق بواشنطن؟، موقع الصفصاف، 2006/9/17، انظر: <http://www.safsaf.org/01-09-06news/articles+news/shakerjuhari.htm>

⁶² هآرتس، 2009/12/22.



ج. تصاعدت التهديدات والضغط الأمريكية والأوروبية على سورية، ففي شهر أيار/ مايو 2003 زارها وزير الخارجية الأمريكية آنذاك كولين باول Colin Powell، وطلب إغلاق مكاتب حماس.

د. صدر أكثر من قرار دولي بمقاطعة سورية إثر عدة قضايا، منها دعم حماس، ووجهت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس Condoleezza Rice انتقادات لها، ورأت أنها "ليست مشكلة للعراق فقط، بل أيضاً للبنان ولللأراضي الفلسطينية"، وشددت لهجتها التحذيرية ضدها، ودعتها لوقف دعمها للمسلحين الإسلاميين الذين يريدون "تدمير عملية السلام" في الشرق الأوسط، إذا رغبت في تجنب أن تصبح معزولة⁶³.

ومع ازدياد توتر علاقة حماس وسورية بالولايات المتحدة من جهة، وارتفاع التهديدات الإسرائيلية من جهة أخرى بشنّ حرب جديدة في المنطقة، واتساع سياسة الحصار والعزل المفروضة عليهما، سيجد الطرفان بأن مصلحتهما تبقى بالتفاهم والتعاون والتنسيق، وتبادل المصالح، مع انعدام أيّ إشارة في الأفق لأي تحوّل غربي على الأقل تجاه سورية⁶⁴.

أربكت الثورة التي اندلعت في سورية في آذار/مارس 2011 العلاقات بين حماس والنظام السوري، إذ إن حماس بطبيعتها حركة شعبية تعبر عن تطلعات الإنسان العربي والمسلم في الحرية والكرامة والتحرير. وفي الوقت نفسه، لا أحد ينكر ما قدمته الدولة السورية للمقاومة الفلسطينية عموماً، وحماس خصوصاً. فقد وفرت لها الحماية اللوجستية والسياسية، وكانت لسان حالها في النظام العربي الرسمي، خاصة موقفها في حرب غزة. وبالرغم من ذلك، ترى حماس أن عمق علاقتها مع النظام، لا ينبغي أن ينتقص من قوة ومثانة علاقتها مع الشعب السوري، الذي ضرب أروع الأمثلة في وطنيته والتصاقه بالقضية الفلسطينية، وفي تبنيه لخيار المقاومة وتحرير الأرض العربية، وظلت قناعة حماس أنه سواء بقي نظام الأسد أم ذهب، فالقضية الفلسطينية باقية في الوجدان السوري.

⁶³ جميل النمري، مبادرة إنسانية تفتح نافذة سياسية.. لم لا؟، الغد، 2011/7/25.

⁶⁴ علاقة حماس بسورية.. لماذا؟، موقع شبكة فلسطين للحوار، 2003/2/3، انظر: <http://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=7423>

ولذلك، تعاطت حماس بحذر شديد مع الملف السوري، واجتهدت أن يكون موقفها متوازناً معه. وبشكل عام تلخّص موقف حماس في أنها قدّرت للنظام السوري استضافته لها ودعمه لخط المقاومة، غير أنها دعمت حقّ الشعب السوري في التعبير عن إرادته الحرة، وإنشاء النظام السياسي الذي يمثله بشكل حقيقي ويُعبّر عن تطلعاته. كما أدانت حماس الممارسات الأمنية والمجازر التي تُرتكب بحق الشعب السوري، ورفضت التدخل الخارجي، وبذلت قيادتها في الأشهر الأولى للثورة السورية بشكل حثيث إلى التوسط، وحلّ الأزمة بعيداً عن التدخل الخارجي والخيارات الأمنية والعسكرية؛ غير أن النظام أصر على الاستمرار في تبني الخيار الأمني في قمع المعارضة. وقد رفضت قيادة حماس أن يوظف وجودها سياسياً لمصلحة النظام أو يفهم أنها تحت جناحه أو أنها تدعم إجراءاته. ولذلك قررت حماس الخروج التدريجي الهادئ غير المستفز للنظام بعد بضعة أشهر من بدء الثورة في سورية. وقد اكتمل هذا الخروج تقريباً مع مغادرة خالد مشعل لدمشق في كانون الثاني/يناير 2012.

ومن الناحية العملية، انقطعت صلة حماس بالنظام السوري منذ ذلك الوقت، وواجهت استياء من النظام السوري وإيران وحزب الله بسبب ذلك. كما وجّهت لحماس اتهامات بمشاركة عناصرها في الثورة السورية ضدّ النظام، غير أن حماس أكدت دائماً على عدم تدخلها في الشأن الداخلي السوري؛ وأنه إذا كان ثمة أفراد منها أو محسوبين عليها شاركوا في الثورة فهو سلوك فردي، وليس بأي حال قراراً من الحركة أو توجّهاً من توجهاتها.

وقد آثرت حماس أن تدفع ثمناً غالياً بتركها لسورية، مقابل أن تنتصر لمبادئها وقناعاتها بحق الشعوب في نيل حريتها وبناء النظام السياسي الذي يعبر عن إرادتها. إذ فقدت حماس قاعدة عملها اللوجستية ومقر قيادتها، وتشتت قياداتها في قطر، ولبنان، ومصر، وتركيا...، وخسرت معظم الدعم الإيراني. وقد حصل ذلك قبل أن يحقق الإسلاميون انتصاراتهم الانتخابية في مصر وغيرها... أي أن حماس دفعت أثماناً موافقها قبل أن تحصل على أيّ مكاسب ناتجة عن ثمار "الربيع العربي"؛ وهو ما يعني بالنسبة لقيادة حماس تأكيداً لمصداقيتها وانتمائها لأمتها وتطلعات شعوبها.



3. العلاقة مع الأردن⁶⁵:

يعدُّ الأردن أكثر الدول العربية عرضة لتقلبات القضية الفلسطينية، والضغط الإسرائيلي والأمريكية، خصوصاً بعد أن ضاقت المسافة بين القرار الأردني والتصور الأمريكي للأمور، لكن سياسته تجاه حماس عكست في أغلب الأحوال ميزان القوى في المنطقة العربية، وفي حال وجد أن المواقف المصرية والسعودية والسورية أظهرت تماسكاً في وجه الضغوط الأمريكية، فمن الصعب أن يخرج بسياسة منفردة، كما لعب التيار الإسلامي فيه ممثلاً بجماعة الإخوان المسلمين دوراً بارزاً في حماية حماس ومواقفها السياسية، قبل القرار التاريخي بطرد الحركة من البلاد⁶⁶.

لكن التطور التاريخي الأبرز في علاقة الجانبين، ما حصل مع خالد مشعل سنة 1997، عندما حاولت "إسرائيل" تسميمه لاتهامه بالتورط في نشاطات معادية ضدها، حيث هددها الأردن زمن الملك حسين بقطع علاقاته معها، مما دفعها لتوفير العلاج اللازم لإنقاذ حياته، وأطلقت سراح زعيم الحركة الشيخ أحمد ياسين مقابل الإفراج عن عميلي الموساد اللذين حاولوا تسميم مشعل، وعودتهما إلى "إسرائيل"⁶⁷.

وبعيداً عن الغوص في تفاصيل التطورات التاريخية، وحالات التوتر وشبه القطيعة التي أحاطت بعلاقة الطرفين، فإن حماس لم تكن الوحيدة المستفيدة من شكل العلاقة السابق مع الحكومة الأردنية، لأن الأخيرة استفادت أيضاً منها، وبالتالي ليس من مصلحتها أن تفرط بكل ما حققته من علاقتها معها⁶⁸.

في الوقت ذاته، هناك جملة من الكوابح والعوائق التي قد تعترض عودة العلاقات الأردنية الحمساوية إلى سابق عهدها، ومنها:

⁶⁵ لعل كتاب "اقتل خالد" للصحفي الكندي بول ماغو Paul McGeough، قام بتشخيص غير مسبق لعلاقة الأردن بحماس، لا سيما حين تناول محاولة اغتيال خالد مشعل في عمان، انظر: **اقتل خالد: عملية الموساد الفاشلة لاغتيال خالد مشعل وصعود حماس** (بيروت: الدار العربية للنشر والعلوم، 2009)، ص 181-199.

⁶⁶ محمد خالد الأزعر، حماس والعرب... علاقة على حدّ السيف، البيان، 2007/6/30.

⁶⁷ أحمد منصور، الشيخ أحمد ياسين: شاهد على عصر الانتفاضة (القاهرة: المكتب المصري الحديث، 2004)، وقد أذيعت حلقات الكتاب على قناة الجزيرة، خلال شهري نيسان/أيار/مايو سنة 1999، والحلقات الثمانية متوفرة في: <http://www.aljazeera.net/NR/exeres/3FFE7011-6735-40DB-968A-8FBF2B78C4BE>

⁶⁸ خالد ذويب، العلاقة بين حركة حماس والأردن 1987-2007، ص 142.

أ. رعاية الأردن لعملية السلام، بين الفلسطينيين والإسرائيليين، التي جاءت بإيعاز أمريكي، بهدف إعطائه دوراً إقليمياً، في ظلّ انشغال مصر "ما بعد مبارك" بترتيب أوراقها الداخلية، بالرغم من نجاحها في ترتيب صفقة تبادل الأسرى بين "إسرائيل" وحماس.

ب. محاولة احتواء حماس وفقاً للظروف الجديدة في المنطقة، في مرحلة ما بعد الربيع العربي، وتحديدًا لمرحلة ما بعد النظام السوري الذي احتضنها طويلاً، في ضوء رهانات أمريكية وإقليمية على أنها بفقدائها للتحالف مع دمشق، قد تنخرط في عملية السلام.

ج. حالة الدفء في العلاقة الأردنية مع السلطة الفلسطينية تشير إلى عمق انخراط عمان في ترتيب المشهد الفلسطيني، حيث تريد حماس "ورقة" في معركتها ضدّ الطرح الإسرائيلي بخصوص الوطن البديل، ومواجهة الصعود الإسلامي في الداخل، وكلها حسابات تجعلها حريصة على فتح صفحة جديدة معها، فيما هي تتعامل معها بمنطق الحسابات والمصالح⁶⁹.

ولم تكفِ أصوات أردنية وفلسطينية في الحديث عن إعادة العلاقة بين الأردن وحماس من بوابة استراتيجية تفرضها مصالحهما، في ضوء المستجدات الضاغطة، ومن أهمها:

أ. تطورات الربيع العربي.

ب. الحضور التركي القوي والمؤثر في المنطقة.

ج. فشل مسار التسوية والسلام، وازدياد التعنت الإسرائيلي⁷⁰.

د. ظهور تغيير ملحوظ في موازين القوى الإقليمية المؤثرة في الشرق الأوسط، والآثار الناجمة عن الأوضاع الاقتصادية العالمية.

⁶⁹ عمر كايد، حماس والأردن.. جدل الحسابات والمصالح، موقع إيلاف، 2012/1/15، انظر:

<http://www.elaph.com/Web/opinion/2012/1/709371.html>

⁷⁰ منذ صدور الميثاق سنة 1988 وحتى كتابة هذه السطور، لم يختلف موقف حماس في رفض الحلول السلمية بالرغم من المطالب المتعددة من جميع الأطراف بضرورة ذلك، وفيما يخص المفاوضات مع "إسرائيل"، فهي ما زالت ترفضها، وإن انتقلت في التركيز في موقفها من البعد المبدئي والديني إلى التركيز أيضاً على عدم الجدوى السياسية. انظر: ثابت العمور، مستقبل المقاومة الإسلامية في فلسطين.. حماس نموذجاً (القاهرة: مركز الإعلام العربي، 2009)، ص 220.

هـ. وجود حماس كقوة سياسية ذات حضور شعبي كبير في الضفة الغربية وقطاع غزة، وما كرّسته كقوة حاكمة في قطاع غزة منذ صيف 2007.

و. الأزمة المتعاضمة في صفوف حركة فتح، وتراجع قوتها، وضعف تأثيرها في غزة⁷¹.

وما يزيد من أهمية العلاقة بين الأردن وحماس، عدم قدرتهما على بناء استراتيجية منفردة للتعامل مع القضية الفلسطينية بعيداً عن الطرف الآخر، ودون توافق على قواسم مشتركة، ولذلك فليس من مصلحة الأردن التعامل بسياسة التهميش أو العداء مع حماس، خاصة مع وجود الكثير من القواسم المشتركة الثنائية.

وبالتالي، فإن الإبقاء على حالة القطيعة بينهما المستمرة منذ 1999، يعدّ أمراً مضرّاً بالمصالح الأردنية العليا والقضية الفلسطينية معاً، مع العلم أن طبيعة برنامج حماس السياسي، ورؤيتها للصراع مع "إسرائيل" تحقق مصالح الأردن العليا برفض الوطن البديل و"الترانسفير"، والحلول التي تأتي على حسابه ومصالحه الاستراتيجية، والتي تشكل تهديداً لمستقبله ومكونات استقراره والنظام فيه، كما تسهم عودة العلاقة معها بخدمة الأهداف السياسية والأمنية الأردنية⁷².

في المقابل، تتمتع حماس بشعبية كبيرة في أوساط الأردنيين، والنظام معني بتفهم ومسايرة التوجهات الشعبية لديهم، فيما لم يسبق لها تاريخياً أن تصارعت الحركة مع الأردن، أو فيه، أو تدخلت بشؤونه الداخلية، مع بعض الملاحظات التي لا تتجاوز سوء الفهم ويمكن تجاوزها.

مع العلم أن طبيعة العلاقة المستقبلية بين الأردن وحماس يمكن أن تنحى نحو واحد من السيناريوهات التالية:

أ. ترسيم علاقة استراتيجية: بما يحقق مصالحهما الاستراتيجية ويخدمها، وهناك ثمة عوامل يعتمد عليها هذا السيناريو، أهمها:

⁷¹ رامي ملح، نحو علاقة استراتيجية بين الأردن وحماس.. دراسة استشرافية، صحيفة العرب اليوم، عمّان، 2011/10/30.

⁷² محطات في تاريخ العلاقة بين حماس والأردن، الجزيرة نت، 2001/6/14، انظر: <http://www.aljazeera.net/news/archive/archive?ArchiveId=10346>

• قدرة حماس على المحافظة على استقرار فلسطيني الأردن، والإبقاء على مكانتها في تمثيلهم داخله.

• إحداث اختراقات في علاقاتها الدولية والعربية لصالح برنامجها، وتغيير المنظار القديم للأردن؛ الذي يرى حماس من زوايا غير إيجابية.

• إمكانية إنفتاح الطرفين على بعضهما، وجدية الحوار بينهما بالتقدم نحو علاقات مستقرة، وتجاوز صغائر الأخطاء، وتعظيم المصالح العليا⁷³.

ب. التوصل لتفاهات مرحليّة: بما يشكل سقفاً متديناً لحجم وطبيعة ونمط العلاقة الناظمة بينهما، ضمن المعطيات والمتغيرات السياسية، في ضوء التقاطعات المشتركة في رؤيتهما السياسية، خصوصاً فيما يتعلق بموضوعي الوطن البديل وحقّ العودة.

ج. تواصل حول المصالح: وهو الحد الأدنى المعقول من العلاقة بينهما، لإقامة حوار وتواصل مشترك، وتشاور حول القضايا التي تهمهما.

د. البعد عن الخلافات: ويقوم على الاحترام والبعد عن الخلافات لطرفين يمكن أن تربط بينهما مصالح متعددة، فلا أقلّ من الحفاظ على علاقة تحترم الآخر، وتفهم قراراته، والإبقاء على نهج يراوح بين التفهم والاحترام، وتجنب الاحتكاك والصدام، أو الدخول في محاور، وإقامة علاقات تضر بمصالح الطرف الآخر، أو الانحياز لصالح جهة ترتبط بعلاقة تنافسية أو خلافية مع الآخر؛ كدعم الأردن لحركة فتح وقيادة السلطة والمنظمة.

هـ. الفشل والعداء: وهو من أخطر التوجهات التي يمكن انتهاجها؛ لأنه يغيب تطوير المصالح العليا، ويخشى أن يشجع الطرفين على الذهاب للخيار الأسوأ، وهو حالة التربص والخصومة، لأنها وصفة لعلاقة قامت رداً من الزمن، وكانت عنوان العلاقة الحاكمة بينهما، بالرغم من وجود قناعات أردنية تؤكد أنه ليس من مصلحة عمّان وسمعتها واستقرارها الداخلي، أن تذهب بعيداً في مقاطعتها لحركة تحرر وطني كحماس، بما تلاقيه من احترام وتأييد وشعبية لدى القوى العربية والإسلامية والشعب الأردني والفلسطيني⁷⁴.

⁷³ مهند المبيضين، الحوار مع حماس وراهنية التغيير، الغد، 2011/7/25.

⁷⁴ محمد أبو رمان، الأزمة بين الأردن وحماس.. أبعادها وتداعياتها، الجزيرة نت، 2006/4/25، انظر: <http://www.aljazeera.net/NR/exeres/00548C78-FD89-42C7-9C4D-A0356F3401E6.htm>



شهدت علاقات حماس بالأردن بعض التطورات الإيجابية خصوصاً بعد اندلاع الثورات وحركات التغيير في العالم العربي في سنة 2011. فقد اعترف رئيس الوزراء الأردني عوني الخصاصنة أن إبعاد قادة حماس كان "خطأً دستورياً وسياسياً"، وأنه يجب أن تكون علاقة الأردن علاقة طبيعية مع كافة الأطراف الفلسطينية، سواء كانت السلطة أم حماس⁷⁵. وقام وفد من حماس بقيادة خالد مشعل بزيارة رسمية للأردن التقى فيها بالملك في 2012/1/29، وهو ما أنهى القطيعة السياسية الرسمية بين الطرفين، والتي استمرت أكثر من 12 عاماً. غير أن هذا الانفتاح في العلاقة ظلَّ محدوداً، واتسم بنوع من البطء والبرود. ثم إنه ازداد بروداً مع الانقلاب العسكري في مصر ومع محاولات إقصاء ما يعرف بـ"الإسلام السياسي" في المنطقة، ومع تراجع زخم وقوة الحراك الشعبي في الأردن. وبالتالي دخلت سنة 2014 دون أن يكون لحماس تواجد أو نشاط معلن في الأردن.

4. العلاقة مع لبنان:

شهدت الأراضي اللبنانية خلال عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين حرباً أهلية طاحنة، بين مختلف الطوائف اللبنانية، تورط الفلسطينيون فيها لأسباب كثيرة، مما جعل حماس في علاقاتها اللبنانية حذرة ومتنبهة من استدراجها في الكثير من مفاصل الأزمات اللبنانية الداخلية، التي تبدأ ولا تنتهي.

وجاء الوجود الرسمي للحركة في لبنان مبكراً، مع أواخر العقد الثامن من القرن العشرين، وتحديداً سنة 1989، حين أبعدت "إسرائيل" عدداً من قادتها إلى الجنوب اللبناني، واختلطوا بالفلسطينيين المقيمين هناك، ونسجوا علاقات متينة مع مختلف القوى الفلسطينية واللبنانية.

وما لبث أن أبعدت "إسرائيل" هناك أكثر من 400 من قيادات الحركة منتصف كانون الأول/ ديسمبر 1992، وفي حين عاد الجزء الأكبر منهم إلى الضفة الغربية وقطاع غزة، بقي عدد منهم هناك، وبدأت إقامة البنية التحتية التنظيمية للحركة، واستقطاب الفلسطينيين اللبنانيين، وتمكنت من إقامة علاقات أقل ما يقال أنها "مرضية" مع القوى اللبنانية على اختلاف انتماءاتها الفكرية والسياسية والمذهبية، وتركزت لقاءاتها مع ممثلي الحكومة اللبنانية والقوى السياسية على ملفات مهمة:

⁷⁵ السبيل، 1 و3/11/2011.

- أ. حماية حق العودة للاجئين الفلسطينيين في لبنان.
 ب. الحرص على الأمن والسلم والاستقرار في لبنان.
 ج. مستقبل السلاح الفلسطيني عبر تفاهم فلسطيني لبناني، في إطار سياسي متكامل⁷⁶.

وتمكنت حماس في لبنان، حيث عادة ما يبلغ الصراع الداخلي ذروته في الكثير من الأحيان، نظراً للتباينات الطائفية والحساسيات المذهبية، من البقاء على مسافة واحدة من أطرافه، وإن أعلنت بوضوح أنها مع مشروع المقاومة لمواجهة المخطط الأمريكي - الإسرائيلي للمنطقة، وأبقت خطوط الاتصال والتواصل مفتوحة مع المعارضة والحكومة على حدّ سواء، وأسهمت بتحسين الساحة الداخلية من نزاع لبناني - فلسطيني قد يشكل تهديداً حقيقياً للسلم الأهلي في البلد⁷⁷.

كما خطت حماس في لبنان خطوة جادة ومسؤولة في حمل مطالب اللاجئين الفلسطينيين فيه ونقل معاناتهم للحكومة اللبنانية، عبر حرصها على إنجاز عمل لجنة الحوار اللبناني - الفلسطيني، لخدمة العلاقة بين الشعبين، ودعم حقوق اللاجئين، وإقرارها، وإصدار قوانين تسمح للاجئين بحق التملك والعمل، وتذكير الحكومة بمسؤوليتها عن مخيم نهر البارد، وتوفيرها المبالغ اللازمة لاستكمال عملية إعمارها، وإزالة الحالة العسكرية والأمنية من محيطه، واعتراف الدولة اللبنانية بالأوراق الرسمية والوثائق الصادرة عن السلطة الفلسطينية، بما يسهل على اللاجئين في لبنان تسجيل الولادات والوفيات، وتسهيل إقامة زوجاتهم أو أولادهم المولودين في مناطق السلطة⁷⁸.

سابعاً: حماس و"الربيع العربي":

راقبت حماس عن كثب حالة الحراك التي قامت بها الجماهير العربية أواخر سنة 2010 وأوائل 2011، وأطلق عليها لاحقاً اسم "الربيع العربي"، وشعرت أنها ستتأثر حتماً بهذه الثورات، لأنها كانت ترى أن حالة الخصومة التي صبغت

⁷⁶ مقابلة مع أسامة حمدان، المركز الفلسطيني للإعلام، 2010/10/8، انظر: <http://www.palestine-info.info/arabic/hamas/hewar/2005/7amdan05.htm>

⁷⁷ الحياة، 2006/10/26.

⁷⁸ مجلة العودة، بيروت، كانون الثاني/يناير 2012، ص 24.



علاقتها بمعظم الأنظمة العربية لم تجرِ على حالة الشعوب، وبقيت لها تلك المكانة، التي اتضحت لاحقاً في مرحلة ما بعد سقوط الأنظمة.

وقد تأثرت حماس بـ"الربيع العربي" من خلال ما سمي بـ"قوة النموذج" المتمثل بفوز الإسلاميين بشكل كبير، خاصة في انتخابات مصر وتونس وليبيا، مما شكل لها دعماً وفرصة لأن تستفيد من النجاحات التي حققها الإسلاميون في المنطقة العربية، بحيث إن انتصارهم وفر مناخاً جيداً لانطلاق مشروع إسلامي متكامل ومتواصل يكون قطاع غزة جزءاً منه، وهذا المشروع المتكامل في المحيط العربي كفيل بهزيمة "إسرائيل"⁷⁹.

بل إن بعض المحافل السياسية في الحركة شعرت أنها تتنفس الصعداء بعد الثورات العربية، وتغيرات المنطقة، وأهمها زوال النظام المصري السابق الذي أظهر لها العداء، وعمل باستمرار لتقويض حكمها، وحاول سحقها بالتعاون مع "إسرائيل" والسلطة الفلسطينية.

وكان للنظام المصري المخلوع دوراً رئيسياً في حصار غزة وخنقها، وفي العدوان عليها في العام 2009/2008، فأصبح صخرة ثقيلة تُعيق تحركها، وتقلل من أهمية انجازاتها، وتشكل تهديداً حقيقياً على وجودها، وبزواله استشعرت حماس بمرونة أكثر وحركة أسرع.

أما عن التغيير في تونس، فقد اعتقدت حماس أنه يصب في صالحها، لأن تونس في عهد زين العابدين بن علي حُرِّمت على الإسلاميين، وتعاملت مع حماس بلا مبالاة، وكأنها غير موجودة، وعدُّ نظامه الأكثر تجاهلاً للحركة، فلم يطاء أرض تونس أي من قيادتها طوال حكمه، ولم يتم أي اتصال رسمي بين نظامه والحركة حتى في أشد الأوقات قسوة، مثل حرب غزة، فيما اليوم (بعد الثورة التونسية، وسقوط بن علي) تفتح أذرعها لحماس، وتستقبل قادتها على أرضها، وأثبت التونسيون أنهم من أكثر الشعوب ارتباطاً بالقضية الفلسطينية، ودعماً لمقاومتها.

أما نظام القذافي، فقد رأته حماس ذا تقلبات شديدة مع القضية الفلسطينية، فأربك الحسابات الوطنية، ولم يتعامل برؤية واضحة، وكانت طلباته كثيرة، وحساباته الخاصة والنفسية معقدة، مما جعله عبئاً ثقيلاً على المقاومة والقضية برمتها.

⁷⁹ محمد حجازي، حماس والربيع العربي وأسس الشراكة السياسية، السفير، 2012/2/18.

وتأمل حماس بعد نجاح الثورة في ليبيا، أن تتجه لإفراز نظام داعم للمقاومة الفلسطينية، ومتعاطٍ بإيجابية معها، وأن تمثل للفلسطينيين عمقاً استراتيجياً مهماً، خصوصاً وأنها منذُ يومها الأول ترفع شعارات مؤيدة لحق الفلسطينيين بتحرير الأرض وتحقيق المصير، وسميت بعض كتائبهم الثورية بأسماء فلسطينية.

أملت حماس أن ينتج "الربيع العربي" نظاماً إقليمياً جديداً ومغايراً للنظام السابق، يشكل بيئة داعمة لها، ويؤثر تأثيراً كبيراً على القضية الفلسطينية، مما سيفتح الباب واسعاً أمامها للانخراط فيه بشكل فعال وإيجابي، لا سيما وأن المعطيات الأولية قبل الانقلاب العسكري في مصر كانت تتجه نحو بلورة بيئة إقليمية حاضنة لحماس في المستقبل القريب، وشيئاً فشيئاً ستفك العزلة السياسية عن الحركة، وسيتم دمجها على أساس أنها حركة ذات امتداد شعبي مقاوم من جهة، وممثلة للشعب الفلسطيني من صناديق الانتخاب من جهة أخرى⁸⁰.

في المقابل، بدأت النظم العربية الجديدة ترفع من مستوى تعاملها مع حماس، وتتعاطى بشكل إيجابي مع حكومتها في غزة، وبدأت بمد يد العون لها، لإعادة بناء البنية التحتية وتقويتها اقتصادياً، كما دعمتها ضدّ العدوان والحصار الإسرائيلي، مثلما حصل مع الزيارة التاريخية لوزراء الخارجية العرب في ذروة الحرب على غزة أواخر 2012.

ورأت حماس، في السنتين الأوليين للربيع العربي، أن النظام العربي الجديد سيفتح لها الأبواب الموصدة أمامها، وقد تشهد انفراجة حقيقية بعلاقة الحركة مع الغرب، تجاه الاعتراف بوجودها، وتعزيز دورها في أيّ ترتيبات قادمة، ورفع اسمها من قائمة "الإرهاب"، لأنه لا يمكن الاستمرار بوضع "الفيثو" في وجهها، في الوقت الذي يتم الترحيب فيه بالإخوان المسلمين أو بـ"الإسلام السياسي" في تونس، ومصر، وليبيا، واليمن، والمغرب. غير أن الهجمة المرتدة ضدّ "الربيع العربي" التي وصلت ذروتها في الانقلاب العسكري في مصر في 2013/7/3؛ والتي أخذت شكل محاولة إسقاط وإفشال الإسلاميين في الدول التي شهدت الثورات والتغيرات؛ قد هبط بسقف الآمال لدى

⁸⁰ إبراهيم المدهون، حماس والربيع العربي، موقع فلسطين الآن، 2011/12/19، انظر:

<http://paltimes.net/details/news>



حركة حماس. بل إن معاناتها قد تضاعفت بعد إصرار النظام العسكري في مصر على تشديد الحصار على قطاع غزة وتدمير الأنفاق بالتزامن مع الحصار الإسرائيلي. وهو ما ترافق أيضاً مع حملات إعلامية تحريضية هائلة ضد حماس في الإعلان المصري وبعض الوسائل الإعلامية القوية المحسوبة على دول خليجية.

وبشكل عام، فما زالت الأوضاع العربية غير مستقرة، وما زال هناك عدد من الأنظمة العربية تحت التشكُّل، وتشهد صراع إرادات بين التطلعات الجماهيرية، وبين الأنظمة المستبدة ومنظوماتها العميقة، وبين التدخلات الخارجية.

ثامناً: علاقات حماس الشعبية:

1. المؤتمر القومي الإسلامي ومؤتمر الأحزاب العربية:

سعت حماس إلى أن تكون جزءاً أساسياً في منظومة هذه المؤتمرات من خلال قممها الدورية وبياناتها الإعلامية، وقد تجلّى ذلك في المواقف المفصلية التي مرت بها الحركة، سواء المواجهات العسكرية مع "إسرائيل"، أم مراحل الحصار المفروض عليها، أم الانتخابات التي خاضتها.

ووصل الأمر درجة أن جعل المؤتمر القومي الإسلامي يطلق على دورته السابعة المنعقدة بالعاصمة اللبنانية في بيروت يومي 5-6/2/2009، اسم "دورة غزة"، ووجه التحية لأهل غزة على صبرهم وتضحياتهم، وانتصار مقاومتهم التاريخي في الحرب التي شنتها "إسرائيل" في العام 2008/2009⁸¹.

كما دأب المؤتمر القومي - الإسلامي في بياناته على إرسال "التحية الحارة الخاصة إلى المقاومة البطلة في غزة التي أفشلت أهداف المحرقة والتآمر الأميركي - الدولي، وتصدت للجيش الصهيوني ومنعته من اجتياح غزة وألحقت به فشلاً عسكرياً غير مسبوق فوق أرض فلسطين الحرّة"⁸²؛ وخاصة حركة حماس وباقي الفصائل المسلحة⁸².

⁸¹ الحياة، 2009/2/11.

⁸² البيان الختامي للدورة السابعة 2009، المؤتمر القومي - الإسلامي، بيروت، 5-6/2/2009، في: <http://www.islamicnational.org/Home/material.php?id=314&s=1>

كما أثمرت جهود حماس لدى إدارة هذه المؤتمرات في العمل على كسر الحصار عن غزة، وفتح المعابر كافة، لا سيّما معبر رفح دون شروط أو إملاءات إسرائيلية، ومعاودة تسيير السفن لتأمين مستلزمات البناء والعمود، والدعوة لتبني فكرة المؤتمر الشعبي لنصرة غزة، وفتح عضويته لجميع المناصرين على الصعيد الدولي.

2. حملات التطبيع:

تعتقد حماس أن المشروع الأخطر على القضية الفلسطينية إلى جانب اتفاقيات التسوية مع "إسرائيل"، هو الجهود التي تبذلها الأخيرة لترسيخ ظاهرة التطبيع مع الشعوب العربية، وليس الدول فحسب؛ في ضوء أن عدداً منها لم توقف علاقاتها مع تل أبيب، حتى بعد انتفاضة الأقصى، سواء في العن أم في السر. لكن ما تريده "إسرائيل" يتعدى بعض النشاطات واللقاءات والتبادلات الاقتصادية السرية، لأنها تسعى إلى تطبيع في العلن يكسر قاعدة "الكراهية" التي تعززت على نحو استثنائي خلال سنوات انتفاضة الأقصى⁸³.

وقد دعت حماس جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي إلى تحمل مسؤولياتهما في وقف هرولة بعض الأنظمة العربية والإسلامية للتطبيع مع "إسرائيل"؛ مستغربة في الوقت ذاته موقف السلطة الفلسطينية الضعيف تجاه هذا الأمر؛ باعتبار أن التطبيع مع العدو يسيء إلى جهاد ومقاومة الشعب والقضية الفلسطينية، ويطعن في ظهرها. ونبهت حماس أن على الجميع أن يدرك مدى المخاطر على الشعب الفلسطيني من وراء هذا التطبيع، وطالبت باتخاذ إجراءات وقرارات حازمة في هذا الاتجاه.

وأشارت حماس خلال مشاركتها العديدة في فعاليات شعبية عربية وإسلامية مناهضة للتطبيع، أن التجربة أثبتت أن كلّ العلاقات الدبلوماسية والتطبيع مع العدو والارتقاء في أحضانه، لم تعد بالنفع على أيّ دولة عربية وإسلامية، بل إنها تضر بالقضية الفلسطينية ومصالح الشعب الفلسطيني. وأبدت استغرابها من بعض التوجهات العربية والإسلامية نحو التطبيع مع العدو، في الوقت الذي ما زالت فيه الأرض الفلسطينية محتلة، وما زال المعتقلون في السجون، وما زال العدوان يمارس بكافة أشكاله ضدّ الفلسطينيين⁸⁴.

⁸³ ياسر الزعاطرة، حماس والتطبيع العربي، الدستور، 2007/12/2.

⁸⁴ الرسالة، 2005/10/17.



3. حملات كسر الحصار:

رأت حماس منذ اللحظة الأولى لفوزها في الانتخابات التشريعية أوائل سنة 2006، أن الحصار الدولي المفروض على الفلسطينيين هو إجراء ظالم وخاضع للضغوط الإسرائيلية. وشجعت حماس الحملات التي قامت فلسطينياً وعربياً ودولياً لكسر الحصار، في مقابل الصمت العالمي على الحصار، واشتداد المعاناة الإنسانية لنحو مليون ونصف فلسطيني في قطاع غزة.

وقد واكبت حماس البدايات الأولى لإقامة الحملات التضامنية الدولية، التي قامت لاحقاً بتسيير حملات برية وبحرية لكسر الحصار، لإيصال رسالة سياسية برفض العقاب الجماعي الإسرائيلي لسكان غزة، وتسلية أنظار العالم على معاناتهم والتخفيف منها من خلال إدخال المساعدات. وجاء استقبال حماس بالدرجة الأولى لقوافل التضامن البرية، باعتبارها الوسيلة الأكثر نجاحاً في وصول قطاع غزة، وإدخال المساعدات، لكن المحاولات البحرية كانت الأقدر على تسليط الضوء عليها سياسياً وإعلامياً، لا سيما وأنها ضمت برلمانيين وشخصيات سياسية من عدد كبير من دول العالم.

وعلى الرغم من أن حملات كسر الحصار لم تنجح جميعها في وصول غزة، إلا أنها تمكنت من تحقيق عدة إنجازات، استفادت منها حماس أيما استفادة، على النحو التالي:

أ. إيصال رسالة برفض سياسة العقاب الجماعي الإسرائيلية بحق سكان القطاع، والتضامن معهم، ونزع الشرعية الأخلاقية والسياسية للحصار، ورفض الصمت الدولي الرسمي تجاهه.

ب. توضيح حجم انتهاكات "إسرائيل" تجاه الفلسطينيين، ومدى استخفافها بالقانون الدولي.

ج. إيجاد حملة عالمية منسقة للتضامن مع الفلسطينيين في قطاع غزة، ومع القضية الفلسطينية ككل، من خلال المشاركة الواسعة لمتضامنين من مختلف دول العالم في هذه الحملات والفعاليات التحضيرية التي سبقتها.

د. إدخال كميات من المواد الإغاثية الغذائية والطبية الضرورية لحياة سكان القطاع⁸⁵.

⁸⁵ مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، "محاولات فك الحصار عن قطاع غزة... إلى أين؟"، سلسلة تقرير استراتيجي (37)، أيلول/ سبتمبر 2011، انظر: www.alzaytouna.net/permalink/4348.html

وهكذا رحبت حماس، بوصفها الطرف المستهدف سياسياً من حصار قطاع غزة، بمحاولات كسر الحصار، وعملت على الاستفادة منها سياسياً وإعلامياً، وأسهمت في إظهار المعاناة التي يتعرض لها سكان غزة، ومدى بشاعة العقاب الجماعي الذي تمارسه "إسرائيل" بحقهم، كما حرصت على دعم تلك المحاولات وتشجيعها، والاحتفاء بالمتضامنين الذين يدخلون القطاع وتكريمهم من قبل شخصيات رفيعة فيها.

4. حماس والعمل الخيري:

عملت حماس، منذ تأسيسها، على الوصول للمؤسسات الاجتماعية، ضمن استراتيجيتها في الوصول للجماهير، واستفادت من الدعم المادي المقدم من مصادر عربية متنوعة، رسمية وغير رسمية، في بناء شبكة مؤسساتية خدمية متشعبة ومتنوعة في مجالات متعددة، كالصحة والتعليم ورياض الأطفال. ووفرت هذه البنية بدائل عالية التنظيم والفعالية لمثيلاتها الوطنية، وتميزت عن معظمها في نوعية الخدمة المقدمة، والمتسمة بقلّة التكاليف المطلوبة من المواطن الفلسطيني من جهة، والتركيز على الجوانب التربوية والسلوكية، ورفع الروح الإسلامية والوطنية من جهة أخرى. ووضعت حماس في علاقاتها مع المؤسسات العربية والإسلامية والدولية المانحة، أن تجعل من المؤسسات الخيرية والتبرعات الشعبية وسيلة مركزية للانتشار في المجتمع، فأنشأت رياضاً للأطفال والمدارس والمكتبات، وبنوكاً للدم والعيادات الصحية، ومراكز التعليم المهنية للنساء والنوادي الرياضية، وجمع التبرعات والصدقات لمساعدة المحتاجين، وتوسيع نشاطات المؤسسات الخيرية.

كما ركزت حماس في مطالباتها التمويلية والمساعدات المقدمة من تلك المؤسسات الرسمية والشعبية على إقامة العيادات الصحية والملاجئ اليومية والوجبات المجانية، وقدمت مساعدات لترميم آلاف المنازل في مخيمات اللاجئين المتضررة نتيجة عواصف الشتاء، وهدم الاحتلال، بالإضافة إلى إنشاء صناديق لمساعدة الطلاب الفقراء لإكمال دراستهم داخل فلسطين وخارجها، وتقديم مساعدات طارئة للعائلات التي تتعرض للنكبات، كنسف البيوت أو اعتقال العائل الوحيد للأسرة، مما ترك أثراً طيباً في نفوس الناس.



خلاصة:

لم تنشغل الدراسة بسرد تاريخ علاقات حماس العربية، وتطوراتها على مدى السنوات الماضية، لكنها سلطت الضوء على أسسها، وتقييم مستقبلها، لا سيّما بعد انتقال حماس من موقع المعارضة في النظام السياسي الفلسطيني، إلى إدارة السلطة، ولو على جزء من الأراضي الفلسطينية في قطاع غزة.

وأكدت الدراسة أن الحركة عبرت عن رؤيتها لطبيعة علاقاتها مع الأطراف العربية الرسمية، والقوى الشعبية، وأوضحت أساس بنائها لهذه العلاقات، وسعيها لإقامة علاقات طيبة وقوية وسليمة مع جميع الأطراف، آملة منها أن تقف مع الشعب الفلسطيني في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، وفي الوقت ذاته تحرص على عدم التدخل في أيّ شأن من شؤونها، وتسعى لتوطيد العلاقات مع كلّ الدوائر المهمة والفاعلة تجاه القضية الفلسطينية، دون أن تضطر لدفع أثمان لها كالتخلي عن الثوابت والأفكار والمبادئ والحقوق.

ما زالت أجواء التغييرات والثورات في العالم العربي تلقي بظلالها على علاقة حماس مع الأنظمة العربية، وما زالت حالة التحول واللا استقرار تفرض نفسها في المنطقة بما يفتح فرصاً وأفاقاً واسعة أمام حماس، كما يفتح في الوقت نفسه تحديات ومخاطر جديدة، بدت بعض مظاهرها في الانقلاب العسكري الذي حدث في مصر.

Islamic Resistance Movement

Hamas

Studies of
Thought &
Experience

هذا الكتاب

تُمثّل حركة المقاومة الإسلامية حماس أحد أبرز حركات المقاومة الفلسطينية. وهي حركة تحظى بشعبية واسعة في الوسط الفلسطيني، وتتبنى الإسلام عقيدة وسلوكاً ومنهجاً، وتنتمي إلى مدرسة الإخوان المسلمين.

شارك في إعداد هذا الكتاب 17 من الأساتذة والباحثين المتخصصين وقيادات من حركة حماس، وهو يستعرض النشأة التاريخية لحركة حماس وتطورها، والرؤية السياسية لها، ونظرتها للعدو الصهيوني، وموقفها من مشاريع التسوية السلمية، ومن القضايا الفلسطينية، ورؤيتها لعملية الإصلاح السياسي والاجتماعي؛ كما يناقش دوائر علاقات حماس العربية والإسلامية والدولية، وغيرها من القضايا المهمة.

ويعدّ هذا الكتاب أحد أبرز المراجع المتخصصة في فكر حركة حماس وتجربتها، ولا غنى عنه لكل المعنيين بدراسة هذه الحركة؛ فهو يلتزم بمناهج البحث العلمي وكل ما يتطلبه ذلك من دقة وموضوعية وتوثيق؛ كما يضيف جديداً من خلال إسهامات من قيادات حماس نفسها.

د. محسن محمد صالح



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص ب: 14-5034 بيروت - لبنان
تلفون: +961 1 803 644 | تليفاكس: +961 1 803 643
info@alzeytouna.net | www.alzeytouna.net



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

